الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جماليات التخييل في رواية " كاماراد رفيق الحيف والضياع" لروائي الصديق الحاج أحمد

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات:

- منيرة بوليفة
- سعيدة حابي
- مسعودة نصرات

إشراف:

– د / نعيم قعر المثرد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د: حمزة حمادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	رئيسا
د: نعيم قعر المثرد	أستاذ محاضر صنف "أ"	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	مشرفا
د: خديجة زين	أستاذ محاضر صنف "أ"	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	مناقشا

السنة الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

جماليات التخييل في رواية " كاماراد رفيق الحيف والضياع" لروائي الصديق الحاج أحمد

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات: **إشراف:**

- *منيرة بوليفة* *– د/ نعيم قعر المثرد*
- *سعيدة حابي*
- *مسعودة نصرات*

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د: حمزة حمادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	رئيسا
د: نعيم قعر المثرد	أستاذ محاضر صنف "أ"	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	مشرفا
د: خديجة زين	أستاذ محاضر صنف "أ"	جامعة حمّة لخضر –الوادي-	مناقشا

السنة الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

سورة طه /28

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على آداء هذا الواجب، ووفقناإلى إنجاز هذا العمل

أما بعد:

...إلى كل الذين ساهموا من قريب أو بعيد ، لإنجاز هذا البحث .

..إلى أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور –نعيم قعر المثرد–

..على احتضانه للبحث ، وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل .

"شكرا وألف شكر".

مقدمة

لقد قفزت الرواية العربية عموما والجزائرية خصوصا قفزات نوعية في عصرنا الحالي فقد امتطت ركب التجريب وسلكت دروب التخييل، وخلعت عن جانبيها عباءة الأنموذج السائد والمألوف، وعمدت إلى تدمير سلطته وسطوته على النص، فأحدثت بذلك ثورة على القديم بكل أشكاله، وبدأت تستلهم سياقاتها من واقع متشعب الاتجاهات، ومتلبس بأقنعة رمزية ودينية وأسطورية ممتدة من رؤى وتشكيلات ثقافية واجتماعية، تتظافر مكوناتها اللغوية للكشف عن معانيها الذلالية وانزياحاتها المحتلة والمراوغة، ليفرض ذلك الابداع نفسه على الرواية المعاصرة حينما يتعلق الأمر بالتعرض لقضية من القضايا المعاصرة، كقضية الهجرة السرية والتي نرمي إلى دراستهاوإبراز مواطن المتخييل السردي والإبداعي لدى الروائي الجزائري الصديق أحمد الحاج من خلال روايته" كماراد رفيق الحيف والضياع"التي صدرت عام 2016م، وكذا تتبع تجليات الزمن والاشتغال على الفضاء والشخصيات، والكشف عن مدى حظ الروائي في التصرف في اللغة وإخضاعها لمراده ومبتغاه والمميزات التي طبعت الصرح السردي لدية .

ويعد الروائي الصديق الحاج أحمد من أبرز الأساتذة والكتاب في عصرنا الحالي الذين عنوا بأهم القضايا العصرية كقضية الهجرة السرية أو غير الشرعية، فقد كان فكرة ثمرة التقاء الثقافات الإفريقية والصحراوية والوطنية، ويجعل من روايته (كاماراد رفيق الحيف والضياع) عاكسة لقضايا الوطن الفقر، الحيف، الضياع، البحث عن الهوية، التحرر والانعتاق، التيه، الموت، اللذّة والألم، الفراق والبعد...إلخ.

ولعل هذا الحشد من المواضيع جعل من الرواية موضعا للدراسة والتحليل والإعجاب لاشتمالها على الأبعاد الإنسانية أولا ثم النفسية، الاجتماعية، السياسية والدينية الملامسة لواقعنا فطرقت قلوبنا وشدتنا أكثر للولوج بين دروبها السردية ومضامينها، لاكتشاف الواقع المرير، وكشف الحجب عن أخطر قضايا العصر تشابكا بعيون الزيواني الذي عايش الظاهرة منذ نعومة أظافره كون مسقط رأسه أهم نقطة عبور لهؤلاء البؤساء الطامحين لجنة الخلد والفردوس الموعود، فهذه النظرة كانت مسوغا مباشرا لاستنباط ما قيل ويقال في ثنايا هذه الرواية، كيف استطاعت اللغة والمتخييل السردي لدى الروائي التعبير عن هذه الرواية؟ مما استدعى طرح جملة من الأسئلة المتعلقة بالظاهرة المدروسة أهمها:

- ما علاقة الجمالية بالفضاء والأمكنة المفتوحة والمغلقة؟

- كيف استعار الزيواني الشخصيات وأخضعها لمتخييلة السردي؟
- وهل انزاحت اللغة عن المألوف حين دمجت باللهجة العامية واللغة الفرنسية ومادلالة ذلك؟
- وهل في طرح وعرض هذا الكمّ الهائل من الموروث بعدا تاريخيا ونفسيا للضمير الجمعي للقارة الإفريقية والأمة العربية؟

للإحاطة بهذه التساؤلات تمَّ الاعتماد على الخطة التالية مقدمة وفصليين وخاتمة، حيث تطرقنا في الفصل الأول لجماليات الاشتغال على الفضاء وحضور الشخصيات، حيث تناول مبحثين درس في الأول الأماكن المغلقة والمفتوحة، وفي الثاني جماليات حضور الشخصيات، أما الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى جماليات اللّغة في الرواية، فعالج المبحث الأول عتبة العنوان، ودلالة مزج اللّغة العربية الفصحى باللهجة العامية والفرنسية، والتناص وتعالق النصوص، كما رصد المبحث الثاني الموروث الشعبي والبعد الرمزي والأسطوريفي الرواية.

وفي نهاية البحث خاتمة اشتملت على حوصلة للنتائج المتوصل إليها من خلال رواية "كامراد"، مما اضطرنا إلى الاعتماد على المنهج البنيوي التكويني والمنهج الاجتماعي الثقافي للكشف عن هذه الجماليات والاختراقات الكامنة في ثنايا النص.

وقد سبق البعض الدراسات ان تناولت موضوع الرواية كالمؤلفة النيجرية" تشيما مندا نجوزي اديشي" التي ولجت لقضية الهجرة من خلال روايتها" ذبابة في الأرز" وكذا المؤلفة الجزائرية" ليلى مارزوق" في روايتها " الأبحار إلى بكين" كما تجدر الإشارة إلى الدراسات التي تناولت رواية " كماراد" مثل دراسة: أوس داوود يعقوب" الصديق حاج أحمد–كاماراد لوحة فنية لتضاريس البؤس– التي اطلعنا عليها ثم اعتمدنا في مسيرتنا العلمية على مجموعة من المصادر المراجع أهمها وأبرزها:

- رواية كامراد رفيق الحيف والضياع لـ: الصديق الحاج أحمد.
- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا لـ: مهدي عبيدي.
- الشخصية في العمل الروائي لـ: نصر الدين (مجلة الفيصل الثقافية السعودية).
- الأسس الجمالية في النقد العربي لـ: عزّ الدين إسماعيل.

وكذلك قد واجهت البحث بعض الصعوبات أثناء خوضنا لهذه الدراسة تمثلت في قلّة المراجع التطبيقية التي درست رواية " كماراد" لكونها حديثة الصدور، وكذا تشعب الرواية

وتفرع دلالاتها والكم الهائل من الموروث والرموز التي يصعب الإلمام بجميع جوانبها دون إغفال العائق المتعلق بظروف عملنا وانقطاعنا عن مقاعد الدراسة لفترة طويلة ثم العودة مجددا لنُفاجأ بنظام جديد وغريب نوعا ما عنا.

ورغم هذه الصعوبات إلّا أننا استطعنا بفضل الله عزّ وجل ومن ثم الأستاذ المشرق الدكتور" **نعيم قعر المثرد**" الذي كان له الفضل في تذليل الصعوبات توجيها وإرشادا، فنتوجه إليه الشكر الجزيل على ما بذله من جهد لميلاد هذا العمل وتقديم يدّ العون لطلاب العلم، راجين من المولى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعله ذخرا وفخرا للعلم ولطلاب العلم.

في: 2024/05/26م

الوادي

مدخل

تعريف الجمال، الجمالية وكذا الخيال والمتخييل

أولا: المتخيل اصطلاحا
ثانيا: تعريف الخيال
ثالثا: مفهوم الجمال اصطلاحا
رابعا: تعريف الجمالية اصطلاحا

أولا: المتخيل اصطلاحا:

يتموضع مفهوم المتخيل في نقطة تماس يتقاطع فيها مع مفاهيم ومصطلحات أخرى من نفس المصدر، كالخيال والتخييل والمخيال، غير ان تباعدها الشكلي نسبيا لا يعكس في الحقيقة سوى صيغ صرفية تحتفظ بخصوصيتها لكنها تشترك جميعها في الجذر خيل: " فالخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركة في تلون، فمن ذلك الخيال، وهو الشخص وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه ويتلون[1]

إن مكلة الخيال أو المتخيل أثر هام في عملية الخلق الأدبي وفي عملية تكله فكل التفاعلات مع الواقع الاجتماعي او الأخلاقي أو المعرفي هي تعبير عن متخيل معين يختلف باختلاف الواقع والمضامين، فعملية الإبداع والخلق وطيدة الصلة بالمتخيل الذي تصدر عنه ولهذا الأخير دور كبير في إدراك المعرفة الجمالية للنصوص ومن ثم تأويلها وفتح مغاليقها وفهم أسرارها وتذوق جمالها، ولقد أدرك الأدباء منذ القديم أهمية الخيال أو المتخيل في عملية الخلق الأدبي[2].

وهناك من يقول:" المتخيل له قدرة هائلة على استدعاء المكتوب والمعطل، وتعريه رصالة الواقع المزعوم "[3].

والمتخيل يعطي للرواية أحيانا خصوصية تعرف به، ويتعالى عنها أحيانا ليكون وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللغة، أو محاكاة أشياء موجودة، أو بإثارة نوع من الابهامات أو التمثيلات التي تتوجه إلى الأشياء وتربطهما باللحظة التي تتمثلها فيها بالذات فتصبح عملا مقصود يجسد وعيا أو اعتقاد بإتهام[4].

إذا فالمتخيل هو أساس الرواية حيث يقوم بإثارة الأشياء العميقة في الرواية حيث يعطيها ميزة معينة تعرف بها ويحقق من خلاله عملية الإبداع.

1- آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص17.

2- فائزة بن خليفة، مصطلحات الخطاب والمتخيل عند محمد لطفي اليوسفي مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ورقلة، قاصدي مرباح، 2011-2012م، ص156.

3- محمد رمصيص، المتخيل العجائبي والغربة بقراءة في التجربة القصصية لأحمد بوزقور، مجلة الكلمة، دط، ديسمبر2012، ع8، ص01.

4- آمنة بلعلى، المرجع نفسه، ص17.

ويرى " جيرار جنيت " أن هناك نوعين من مفهوم المتخيل أي هناك متخيل قار مرتبط بالمضمون وهناك متخيل ظرفي تعبر عنه العبارة التالية:" أعتبر أدبا كل نص يثير ارتياحا جماليا"[1].

فهذا الأخير الأدب عنده هو وجود نص يثير في نفسه أثر جماليا، وقسمه إلى نوعين متخيل قار ومتخيل ظرفي.

وفسر " إيدغار ويبر" المتخيل ب:" حالة تثير في الموضوع الخروج عن الذات من خلال حالة الاستغراب أو الذهول التي تنتج عن نقل العادي نحو النادر أو غير المألوف إلى المتوقع"[2].

نفهم من خلال هذا القول أن" إيدغار ويبر" يؤكد أن المتخيل يمثل القدرة على الإبداع والتأويل من خلال نقل العادي إلى غير المتوقع.

وأما "لوردي LEDRUT" فقد عرفه من خلال علاقته مع العقل والمعرفة." أن المتخيل مرتبط بشكل حميمي بالعقل والمعرفة، والأمر الذي يعني أنه لا توجد معرفة تخييلية صرفه لأن كل معرفة هي معرفة عقلية في بنيتها أو طبيعتها، وما المتخيل إلا وسيلة لتفعيل وتحسين تلك الماهية"[3].

نفهم من هذا أن هناك علاقة وطيدة وتكاملية وتلازمية بين العقل والمتخيل واستحالة الفصل بينهما.

وإذا كان المتخيل هو صفة الفن التي تعطيه قيمة يدركها المتلقي، فهو نتاج عمليات عقلية يمكن أن تنتج ما لا يوجد في الواقع وما لا يستسيغه أحيانا، ويتجلى ذلك من خلال صدم آفاق الانتظار، لكن تبقى هذه المعرفة التخييلية مهما بعدت لا تتناقص مع المعرفة العقلية وإنما تنهض منها من خلال إدراك الصور الحسية[4].

1- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية، ط2 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص17.

2- المرجع السابق، ص18.

3- المرجع السابق، ص19.

4- المرجع السابق ، ص22.

ثانيا: تعريف الخيال:

الخيال ضروري للإنسان لا بدّ منه ولا غنى عنه، حيث يرى كل من "أفلاطون" و"أرسطو" أن " العبقري ليس كل من يطلق العنان لخياله وإنما هو من يكتشف الكليات والكليات لا تدفع الخيال لنشاط فحسب بل تحد أيضا من الانطلاق"[1]، ونفهم من هذا التعريف أن الخيال قوة عقلية ليس لها حدود والإنسان هو الذي يتحكم فيه ويقيد تدفقه وحريته وفق للحدود التي يضعها له كما أن الخيال هو أساس الإبداع.

كما ترى "أمينة بلعلي" أن الخيال" هو عبارة عن طاقة كامنة تؤدي إلى الاكتشاف والمعرفة وهو عملية تنبع من الذات وتقوم بتمثيل وتجسيد الصورة حسب نفسية المبدع"[2].

أي أن الخيال طاقة داخل الإنسان ولدا عليه استخدامها لاكتشاف واستخراج ما بداخلة لتتجسد في إبداعاته.

فالخيال يساعد في إيقاظ العواطف الكامنة لدى الإنسان، فهو قوة داخلية نفسية موجودة في كل إنسان سليم الآليات النفسية أو العقلية وتظل هذه القوة في حالة كمون حتى تجد ما يحثها على الخروج الكون إلى الظهور[3].

أي أن الخيال قوة عقلية كامنة عند الإنسان سليم، وخروج هذه القوة للظهور يكون نتيجة لمحفزات ودوافع تدفعها للخروج من كمونها.

فالخيال ليس تخيلا عابرا لا قيمة واقعية له كما أنه ليس خيالا خلاقا كما عرفه الفانون، بل هو طلقة وقوة ذات بعد حقيقي واقعي يسعى إلى التحقق في الحس بشكل دائم أبدي أزلي[4].

فالخيال حسب هذا القول تدرك بالحقيقة المجسدة على أرض الواقع وليس تصوير عابر لا معنى له باعتباره ينطلق من الواقع المعني.

1- إحسان عباس، فن الشعراء، دار صادم، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص142.

2- أمينة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)، ص21.

3- الحسن الهايل، الخيال أداة الإبداع، مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ -1988م، ص37.

4- أمينة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)، ص20.

" فالخيال هو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك، تصور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها، فهو خزانة واسعة وممتلئة بالشاعر والأحاسيس التي تنطلق وفق الدفقة التي تفرزها المدركات العقلية"[1].

فالخيال من خلال تعريفه الاصطلاحي أنه الصورة التي يستطيع من خلالها أن يرسم للفكر البشري مختلف الأنشطة سواء ذهنية أو نفسية في ذاتهم أو اتجه الآخرين من أحل رسم الحقيقة والمواقف في أعمالنا.

ثالثا: مفهوم الجمال اصطلاحا:

يعتبر تعريف"هربت ريد" من أهم التعريفات التي ظهرت في الجمال والذي يستند على أساس مادي حسي مفاده:" إن الجمال هو وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا[2].

أما الفيلسوف " جون ديري" يعرف الجمال على أنه" فعل الإدراك والتذوق للعمل الفني"[3].

أي أن الجمال يبحث عن الجمال من خلال العمال التي يبدعها الإنسان، لقد عد الفلاسفة الجمال" صفة الأشياء التي تبعث في النفس السرور والرضا والقبول وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها احكام القيم، أعني الجمال والحق، والخير والمفهوم الفلسفي للجمال لا يختص في ميدان القيم الفنية، وهذا ما يجعله يختلف عن مفهوم الأخلاق الذي يبحث في السلوك القويم أثار هذا المصطلح سقراط فرأى أنه يحقق النفع"[4].

فهو لا يأبه بالجمال الحسي قد اهتمامه بجمال النفس والخلق الفاضل وقد ربط مفهوم الجمال بمبدأ الفائدة والغاية الأخلاقية، أي الجمال الهادف.

أما "أفلاطون" قد خص مثال الجمال بالوضوح. ...، لذلك كان الجمال أحب الأشياء إلى الإنسان[5].

1- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشد للطباعة والنشروالتوزيع، شارع السلام، اللواء المهندسين، دط، 740-8016هـ، ص114.

2- آمال حليم الصراف، علم الجمال فلسفة وفن، دار البداية، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص13.14.

3- المرجع نفسه، ص14.

4- أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال(أعلامها ومذاهبها)، دار قناع لتوزيع والنشر، 1998،ص31.

5- المرجع نفسه، ص43.

فيرى أنه شيء إلهي، مطلق ولا يتغير، فهو صفة وخاصية في الطبيعة، وعلى الرغم من تلك الجهود المبكرة، إلا أننا لم نعثر على نظرية جمالية متكاملة لها حدودها الواضحة، وإنما اقتصرت جهودهم على إعطاء فكرة عن الجمال وحقيقته وعلاقته بالفن كما حاولوا ربط الجمال بقيم الخير والحق وكانت النظرة الغيبية (الميتافيزيقية) تحكم جهودهم بحيث يغدو الجمال أمرا مثاليا، ونحن نعرف أفلاطون حاول جاهدا أن يفصل الجمال عن الفن حين رأى أن الأخير يفسد الذوق، وأن الفن تقليد للأصل وابتعاد عن جوهر الحقائق[1].

فإذا كان الإغريق قد تحدثوا عن الجال والجميل المطلقين والنسبيين فقد كان من الواضح في حديثهم طابع النظرة الميتافيزيقية، تلك النظرة الواسعة التي جعلت من الجمال مبدأ علويا فعالا يجانب الحق والخير[2].

وهناك بعض آراء الفلاسفة في مفهوم الجمال، حيث يقول " سارتر" يحدثنا عن الجمال كما يراه " الجمال قيمة لا تتطبق إلا على ما هو تخيل والتي تعني نفي العالم في بناءه الجوهري...والقول بأننا نفترض نظرة جمالية للحياة هو خلط دائما بين الواقع والتخيل".

نفهم من هذا أن الجمال يطبق على الخيال الذي يكون نافيا للعالم الموجود وأن النظرة الجمالية للحياة هو حتما خلط بين الواقع والتخيل.

ويقول " إلبير كامي" فإننا نجده يلتقي مع" هيدجر"، حيث يرى الأول الجمال بعض نتاج (لا لتمرد) ويراه الثاني بعض نتاج (الصراع)، فالإنتاج الجمالي لا يوجد إلا في ساحات التمرد والصراع.

ربط كل من " إلبير كامي" و" هيدجر" وجود الإنتاج الجمالي يوجد إلا في ساحات التمرد والصراع.

يرى "كامي" أن الإنسان يفقد الوحدة في عالمه الواقعي فيجد نفسه مضطرا إلى إبداع آخر يقيمه بديلا لهذا العالم، والفن في جوهره هو حركة التمردية التي تقوم بها الإنسان حينما يرفض الواقع من إيجاد العالم الجديد الذي يستطيع أن يجد فيه ما ينشده من وحدة وتماسك...ولهدا يصبح (التمرد) في حد ذاته مطلبا جماليا[3].

1- عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ط3، 1974، دار الفكر العربي، ص14.

2- الرجع نفسه، ص20.

3-الصالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1407،1، 1986، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص58،59.

رابعا: تعريف الجمالية اصطلاحا:

إنّ الحديث عن مفهوم الجماليات يحيلنا حتما إلى الحديث عن علن الجمال هذا المفهوم الذي شغل المختصين بدراسته والاهتمام به وأكثر من اهتم به الفلاسفة فهو علم قديم ارتبط بالمباحث الفلسفية، فمسيرته بدأت مع "أفلاطون" و"أرسطو"، وذلك لإبراز الحسن من الرديء والجميل من القبيح في المواضع والنصوص عن طريق التلقي والفهم والاستيعاب"[1]

إذ عدّ الفلاسفة الجمال" صفة الأشياء التي تبعث في النفس السرور والرضا، والقبول، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، أعني الجمال والحق والخير، والمفهوم الفلسفي للجمال لا يختص في ميدان القيم الفنية، وهذا ما يجعله يختلف عن مفهوم الأخلاق الذي يبحث في السلوك القويم، وأثار هذا المصطلح اهتمام سقراط فرأى أنه يحقق النفع"[2].

فهو لا يأبه بالجمال الحسي قدر اهتمامه بجمال النفس والخلق الفاضل وقد ربط مفهوم الجمال بمبدأ الفائدة او الغاية الأخلاقية، أي الجمال الهادف، أما" أفلاطون": " قد خص مثال الجمال بالوضوح ...، لذلك فقد كان الجمال أحب الأشياء إلى الإنسان"[3]، فيرى أنه شيء إلهي، مطلق ولا يتغير، فهو صفة وخاصية في الطبيعة.

وعلى الرغم من تلك الجهود المبكرة، إلا أننا لا نعثر على نظرية جمالية متكاملة، لها حدودها الواضحة، وإنما اقتصرت جهودهم على إعطاء فكرة عن الجمال وحقيقته وعلاقته بالفن كما حاولوا ربط الجمال بقيم الخير والحق، وكانت النظرة الغيبية (الميتافيزيقية) تحكم جهودهم، بحيث يغدو الجمال أمرا مثاليا، ونحن نعرف أن أفلاطون حاول جاهدا أن يفصل الجمال عن الفن حين رأى أن الأخير يفسد الذوق، وأن الفن تقليد للأصل، وابتعاد عن جوهر الحقائق"[4].

وعلم الجمال" علم يدرس طبيعة الإحساس الفني، وما يبعث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير"، فهو يهتم بطريقة تذوق الفن ورؤيته وملامسته الجميل فيه.

1- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، إشراف: يحي الشيخ صالح، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية،2005،2006، ص40.

2- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2013، ص25.

3- أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال (اعلامها ومذاهبها)، دار فناء للتوزيع والنشر،1998، ص43.

4- عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، بيروت، 1412هـ، 1999م، ص14.

ومن علم الجمال كانت الجمالية التي تهتم بجميع الفنون الأدب، الموسيقى ، الرسم، العمارة والنحت" فالجمالية هي البحث في قضايا الفن على اختلافها، من حيث أن الفن صناعة، خلق جمالي لها أصولها المتنوعة، ولها حرفيتها التقنية الخاصة، غير أن البحث العقلي في قضايا الفن والأدب، لا بدّ حتى يرقى إلى مستوى الجمالية ويصبح في نطاق علم الجمال، من أن يكون النظر فيه على نظرة فلسفية عامة للحياة والكون، يندرج النظر الجمالي في سياقها، كما تندرج في هذا السياق أيضا سائر مواقف الباحث من ظاهرات الحياة، وقضايا الإنسان ونشاطاته"[1].

وفي الأخير يصبح مفهوم الجمالية خصيصة من خصائص الأدب لا غاية، فغايته هي النظر إلى الأدب بوصفه تجربة إنسانية، لها أبعادها الفكرية والنفسية والاجتماعية.

1- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، ص04.

الفصل الأول

جماليات الاشتغال على الفضاء

وحضور الشخصيات

- **المبحث الأول: جماليات الاشتغال على الفضاء**
- المطلب الأول: الفضاء المغلق
- المطلب الثاني: الفضاء المفتوح
- **المبحث الثاني: جماليات حضور الشخصيات**
- المطلب الأول: الشخصيات الرئيسة ودورها
- المطلب الثاني: الشخصيات الثانوية ودورها

المبحث الأول: جماليات الاشتغال على الفضاء

المطلب الأول: الفضاء المغلق

تعريف المكان والفضاء

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، ويعد أحد الركائز الأساسية لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري وتدور فيه الحوادث وتحرك من خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية[1].

ويعتبر المكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض ويعد الفضاء الروائي أكبر من المكان والفضاء ينضوي على المكان ويتشكل ويمتلئ به[2].

فالفضاء الروائي هو المحرك الذي يكتب القصة وبالتالي إذا وجدت الأحداث وجدت الأمكنة[3].

ونحن في هذه الدراسة لجماليات الاشتغال على الفضاء والأمكنة الموجودة في الرواية، سنقف على الأماكن التي عاش فيها البطل "مامادو" والتي سافر وتنقسم هذه الأماكن إلى أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة

1- الأماكن المغلقة:

لمكان المغلق هو المكان العيش والسكن الذي حددت مساحته ومكوناته كغرف البيوت والقصور، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية[4].

من بين الأماكن المغلقة التي عاش فيها " مامادو" نذكر:

1- البيت: يعتبر البيت حيزا مهما في حياة الإنسان إذا يعتبر ملجأ كل إنسان بعد عناء وشقاء طوال النهار.

1- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العالمية السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص35.

2- المرجع نفسه، ص37.

3- المرجع نفسه، ص39.

4- المرجع نفسه، ص40.

بيت " مامادو" هو المكان الذي عاش فيه البطل حياته التي كانت كلها فقر وشقاء، يقع هذا البيت بحي مكلي بالنيجر من تلك البيوت بالحي الشعبي التي يطلق عليها بيوت.

إنه بيت من خلال الوصف يشير إلى الوحشة والقلق وهو مكان بائس كبؤس الشخصيات التي التحمت المكان[1].

يحول" مامادو ادزوبت" بالسقيفة المظلمة التي نام قربها برحبة البيت ليلا تمددت على الحصير، وهي سقيفة مظلمة مستطيلة صبغت جدرانها بدخان حطب التدفئة والطهي شتاء...

سقف هذه الأخيرة مغطى بأعواد شجرة الكرنك تتدلى من أطراف أسمال تلاد نالت الأخرى حظها من الغبار والدخان، حتى قلصت بها نسبة من حيط النيلون[2].

يوحي هذا المكان بحياة البؤس التي كان يعيشها "مامادو" رفقة أهله ويصف كذلك" مامادو" مطبخ منزلهم حيث يقول:" مطبخ" مكان نستطيع القول إنه " مطبخ" إلا من باب معرفة الأشياء لأماكنها فقط ...اما في الحقيقة فهو أبعد ما يكون في الخيال المتوقع"[3].

بيت جارهم "موطاري" والد " إدريسو" كان الباب الخشبي لبيتهم الباب الوحيد بالحي المصنوع في ورشة النجارة بالمدينة... انعكاس ضوء المصباح الكهربائي. إنه يضيء مكانا مقبولا من رحبتهم"[4].

وبيت العم "بامبا" بابه مصنوع من أعواد شجر المانG[5].

فهذه البيوت من خلال وصفها ذلالة على الفقر فهي تعبر عن أصحابها، فوصف البيت يؤدي بالضرورة إلى وصف الإنسان الذي يعيش فيها يقول " مامادو":" وجدت أمي جالسة مسمرة وسط الرحبة، سلمت عليها جلست يمنه أمي، الضوء خافت هناك عند مدخل طهي الرفيقة (هرا)[6].

هذه الأخيرة كسرة من مسحوق الذرة المخلط مع حليب بقرتنا يكتولاغير[7].

1- المرجع نفسه، ص66.

2- الصديق الحاج احمدن رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص66.

3- الرواية، ص65.

4- الرواية، ص76.

5- المرجع نفسه، ص77.

6- المرجع نفسه، ص92.

7-المرجع نفسه، ص65.

كما ذكر أيضا الكاتب وعلى لسان" مامادو" توصيفا للبيت الذي كان يسكنه خلال رحلته إلى الفردوس مرورا بتمنراست بحي الشاطو، وهو مكان تجمع ليكامراد:" بابه مصنوع من برميل حديدي صادئ غير مصبوغ... يتدلى من وسط ثلثه الأعلى، حبل يسع مقبض اليد.. رحبة واسعة معرّاة...حيطانها الخارجية ليست عالية تفتح فيها غرف كثيرة"[1].

لا يكتفي السارد بوصف جغرافية المكان، بل يصف لنا حالة مطبخه " الأوساخ منتشرة في كل مكان في المطبخ على الأرض، على الحيطان قدر وحيدة يتعاور عليها الرفاق، طاب قلعها من النار"[2].

أما البيت الذي قطن فيخ " مامادو" بولاية أدرار بالحي الغربي فيصفه" يستضيء ..عبارة عن رحبة أو قل عنها ساحة كبيرة... تتفتح فيها ثلاث غرف كبيرة جذا على شكل مراقد"[3].

" ينفتح في زاويتها الغربية مرحاض وحمام، كما يفتح في زاويتها الشرقية مطبخ التذكارات الحائطية موجودة هنا كذلك...ربما لنفس الأشخاص الذين خلدوا أسمائهم بحي الشاطو"[4].

إن هذه البيوت التي عاش فيها "مامادو" وتشترك جميعا في وضيعتها المزرية وعدم توفر أدنى شروط العيش والاستقرار بحيث توحي للقارئ واقع الحياة البدائية التي يعيشها هؤلاء الأفارقة والقيمة الجمالية في هذه البيوت لا تمكن في مظهرها الخارجي وإنما في بعدها الفني باعتبارها مكان احتوى تراكيب اجتماعية أعطته قيمة جمالية.

2-مجلس فضاء

مجلس فضاء مكان مغلق وهو المكان الذي يضم الرفاق الملتقين حول صينية الشاي، وجهاز قراءة أغاني محلية، لشرب الشاي وسماع بعض الأغاني عبر عنه "مامادو" بقوله:" النادي الوحيد الذي نختلف إليه ونلتقي فيه نحن شباب الحي، خلال أوقات العشية لشرب

1- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص197.
2- الرواية، ص232.
3- الرواية، ص311.
4- الرواية، ص312.

الشاي"[1] " فيتبادلون أطراف الحديث ويتسامرون ويرقصون وينسون أعباء الحياة ومشاكلها وسمعون أغاني" فاطي ماركو" "" [2]

يقول " مامادو" :" على إيقاع نغمتها التي تمدنا بلحظات حالنة ننسى بها بؤسنا، ونقبض فيها على الزمن الهارب، الذي يحلو لنانعته، في شريعة فقرنا وملة بؤسنا ب(ابن الكلب)"[3]

في هذا الفضاء تظهر طقوس جلسة الشاي التي تمثل عند رفاق هذا المجلس مجلس فضاء نوعا من أنواع العبادة اليومية.

بالكاد ينهي بسط الحسيرة السعفية على الأرض، وضع صينية الشاي النحاسية المستديرة وسط المفروش حيث صفت في تلك الأخيرة فناجين الشاي الزجاجية الشفافة المقلوبة، يرقد بينها كوب كبير...

ركن إلى جنبها إبريق حديدي أزرق صادئ لطبخ الشاي... الطقس الأخير من تقاليد رفيقنا... بعد وضع كانون الفحم[4].

لعب هذا المكان دورا كبيرا وحيويا في الربط بين هؤلاء الرفاق حيث يقضون فيه الجلسات اليومية حول صينية الشاي وقضاء أوقات سعيدة مع بعض متناسين همومهم حيث يعتبر النادي الترفيهي الوحيد لـ" مامادو" و رفاقه وهو المكان الذي ولدت فيه فكرت الخلاص من الهجرة نحو الفردوس.

1- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص36.

2- الرواية، ص39.

3- الرواية، ص39.

4- الرواية، ص38،39.

المطلب الثاني: الفضاء المفتوح

الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح عكس المكان المغلق والأمكنة المفتوحة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان[1].

ونعني بالمكان المفتوح المكنة المفتوحة على الخارج (أماكن انتقال وحركة) حيث تتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة وهي بالطبع كل الأماكن المعادية للأماكن الإقامة والتي تشكل معها انقساما جدليا بين الداخل والخارج.

ومن أهم المكنة المنفتحة التي تجلت خلال العمل الروائي والتي نحن بصدد دراستها هي:

1- المدن:

هي بحر يحتضن مختلف الشخصيات والأجناس لا تربط بينهم قرابة وإنما جمعتهم الغاية أو القدرة في ذلك المكان فمثلا في رواية " كامراد" تصور لنا المدن التي مر فيها الأفارقة خلال هجرتهم الغير الشرعية، ويسمونها بمدن الأحلام، هي فضاء يتجمع فيه المجتمع الكامرادي من نواحي الجنوب افريقيا ليشكل الحدث، ومن هذه المدن التي وردت في الرواية.

1- مدينة عين فزام: (مارسيليا ليكاماراد)، ومما ورد في حقهما من وصف ما يأتي:" ...البيوت أكثرها طينية قليلها اسمنتي، الطريق شبه معبد، وجوه الطوارق باللثام، يرتدون

1- مهدي عبيد، جماليات المكان في ثلاثية حنامينا، الهيئة العالمية السورية للكتاب، دمشق،2011، ص95.

بازلتات زرقاء، صفراء، خضراء، نساء بيضاوات جميلات، يلتحفن قناع(تسغنس)، رفاقنا الأفارقة أوقل عنهم (ليكاماراد) وهو هذا الاسم الشائع لنا ابتداء من هذا المقام هم الآخرون يتجولون في المدينة بكل طلاقة وحرية"[1].

2- مدينة تمنراست: (باريس ليكاماراد)، وهي كما يصفها" مامادو" المدينة في بدايتها تبدو كما لو أنها عشوائية قصديرية، الجو مستلطف نوعا ما، بيوت طينية وزنكية متناثرة هنا وهنالك، الماعز كالقوافل على الطريق[2].

ومدينة "ضاما" كما ينعتها ليكامراد خليط من الأجناس" البشرية " الطوارق رجال ونساء وأطفال إخواننا ليكامارد نساء وشيوخ من أهل زندر زمعهم أطفال يتسولون في الشوارع بطاستهم أناس سود مثلنا من أهل البلدة، قوم آخرون بيض مشربون بسمرة..."[3].

هذه المدينة أقصدّ تمنراستّ هي تجمع لمجتمعات ...مختلفة، فهي خليط الأجناس البشرية

ونظرا لبؤس وفقر هؤلاء الأفارقة فتبدوا لهم هذه المدينة وعلى حسب وصف "مامادو" لها كأنها باريس فهي أرقى بكثير مما كان يعيش فيه.

3- مدينة أدرار : (روما ليكاماراد)، هكذا يسمونها، وهي تدخل ضمن أحلامهم يصفها "مامادو" قائلا:" الحركة هادئة بوسط المدينة، أكثر ماشد انتباهنا تشابه المعمار الأداراري مع معمارنا الإفريقي، في مدن (أقادز) و(طاوة)و(تساليت) و(Gأو)[4]، ويفسر "مامادو" هذا التشابه يقول رفيقه "قليب" :" إن الاستيطان الفرنسي هو الذي أدخل هذا النموذج المعماري إلى هنا من بلداننا، فبنى بالطين ، وسمك الجدران.... وسقف بجذوع النخيل...وصبغ المظهر الخارجي للبنيات المدينة بالأحمر الطيني ماسينا تتفتح فيها أربعة أقواس حمراء"[5].

إن هذه المدن الصحراوية الجزائرية تعتبر مناطق عبور ومحطات انتقال لهؤلاء الأفارقة الحالمين بالفردوس.

1- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص155.

2- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص179.

3- الرواية، ص.309.

4- الرواية، ص310.

5- الرواية، ص310

2-الشوارع والأزقة:

يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة أو أحد علاماتها المكانية البارزة ...وتتحرك فيه الشخصيات، والشوارع أماكن مفتوحة، تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل حرية التنقل وسعة الاطلاع وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة.. تمثل بالنسبة للشخصيات أماكن مرور وتوقف وانطلاق.

ورد الحديث عن الشوارع في بعض المقاطع السردية في الرواية، يمكن اتمثل لها بالأزقة والشوارع التي مر عبرها البطل" مامادو" إزاء ممارسته لمهنته البسيطة، التي ... ورثها عن أجداده وهي بيع أعواد "G ورو" .... يقول متحدثا عنها قائلا:" أكملت دورتي عبر شوارعي المرسومة التي كان والدي "بو رايبا" يسلكها وجدي "غندا"[1]..

وصلت الأزقة بالجهة الشرقية للعاصمة، أطوف عتبات أبوابها متقفيا أثار جدي .. ثم يطوف بالحي الغربي يتبع الأزقة التي كان يطوف فيها والدي.. ثم يتوقف عند بعض الأماكن التي كان ايتدعها شخصيا وكان قد العزم على أن يورثها لأبنائه في المستقبل[2] قبل أن يفكر في الهجرة.

ومن الواضح أن هذه الأحياء والشوارع والأزقة " تعبر أماكن انتقال ومرور نموذجي فهي تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر مكان إقامتها وعملها[3].

يقول " مامادو" واصفا لطريق حي الشاطو الشعبي بتمنراست:" سلكنا زقاقا متسخا فيه أعقاب السجائر وعليها المرمية..." تنسم هذه الأزقة بأنها ضيقة وملتوية ومتسخة..."

وجاء هذا الوصف ليكشف عن هامش المهاجرين الأفارقة الصباح بالمخدرات ...إلى غيرها من الأعمال المشبوهة.

3-الأسواق:

السوق مكان تجاري، نجد فيه كل المظاهر التي تعبر عن وجه المدينة، وقد شكلت الأسواق ظاهرة مميزة في مختلف الحضارات واهتم بها المؤرخون والرحالة وحتى الرواة في كتاباتهم.

1- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص58.

2- الرواية، ص59، 60.

3- الرواية، ص....

هو المكان الذي تلقي فيه أنواع مختلفة من البشر ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة كما يمثل مناسبة لتقديم شخصيات جديدة[1].

نجد أن الرواية استثمرت الخصائص العامة لهذا المكان، حيث تبرز لنا حالة السوق بمدينة ميامي في صورة مزدحمة " الحركة والضجيج يبلغان ذروتهما اللامتناهية خلال فترة منتصف نهار ميامي، لا سيما بهذا المكان من السوق الكبير ... الدخان يعلو المكان"...

كما تشير الرواية الى سوق الحيوانات الذي يختلط فيه اصواتها، يقول " مامادو" واصفا السوق بأنها: " ضاجة بأصوات الحيوانات، رغاء الابن المختلط بنعيق النوق الرخيم بحنين ولدها، وهو الاخر المختلط مع ثغاء الماعز ومأمأة الشياه ...إيقاع ذلك الأصوات شكلت معزوفات رائعة بأجواء الأسواق "[2].

الوقت ساعتها كان الضحى المتوسط، جغرافيا السوق تتوزع بين فضاءات متباعدة لكل صنف جهته، الشياه لجهة الشرق، الإبل لجهة اليمين، الماعز لجهة الشمال، البقر للجهة المقابلة للشياه[3].

قصدت جهة بيع الملابس المستعملة المعروف عندنا بـ (البالة)، اشتريت سروالين مستعملين من الجينز الزرق البارد ...اشتريت بعدها قميصين صيفيين مستعملين كذلك[4].

السوق مكان علم للناس حرية الفعل ولتنقل من مكان لأخر والاطلاع والتبادل لذلك فهو مكان ينفتح على العالم الخارجي يعيش دوما حركة مستمرة ويؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم.

4- الأحياء الشعبية:

الأحياء الشعبية هي مجموعة من سكنات عشوائية التي تفتقر الى أبسط مقومات الحياة، حيث تجمعهم علاقات وطيدة ومتماسكة كأنهم عائلة واحدة أزقة هذه الأحياء في غالبيتها ضيقة كذلك طرقات، ومن الأحياء الشعبية التي ورد ذكرها في الرواية.

1- حي Gمكلي: حي مكلي هو المكان الذي تنطلق منه الرواية " أفقر الأحياء بمدينة النيحرية " مكان متروك معزول عن العالم[1].

1- جماليات المكان في رواية كامراد رفيق الحيف والضياع، ص30

2- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص61.

3- الرواية، ص83.

4- الرواية، ص.83.

صورة حية للبؤس الشديد والفقر بهذا الحي من خلال وصف البطل " مامادو " بيوت طينية بائسة، مغطاة بشجر الكرفك، الأوساخ والقمامة في كل مكان دون استثناء ...أطفال نصف عراة، نساء ضامرات، شيوخ خماض، أشياء لا تخطر على البال[2].

يصف الروائي حالة الجهل والفراغ والتخلف بلسان "مامادو " حيث يقول: " في حينا القصديري (G ملكي) الواقع على الضفة الضاحة من نهر النيجر، لا توجد لنا نواد أو مقاه شبابية نختلف إليها، لدغدغة أحلامنا"[3]." مع ذلك فالحي الشعبي يظل يخمل هويته الخاصة كفضاء انتقالي، من دون أن يعبأ برياح التحديث المباغث التي تهب عليه وعلى المرافق والأحياء الأخرى"[4].

2- حي الشاطو: حي قصديري بناياته طينية هشة قصيرة...بنيت بشكل عشوائي أثار العجلة في إقامتها باد للعيان... كابلات الكهرباء المحرورة من الأحياء المجاذبة"[5].

هذه الأحياء الشعبية التي ذكرت في الرواية يمكن القول عنها أنها تسلب بعض حقوق هؤلاء الأفارقة وحرياتهم، وكان مصيرهم فرض عليهم بإضافة إلى ضعف الإمكانيات المادية والوسائل الثقافية والترفيهية.

للفضاء مكانة بالغة في رواية كمراد بل كان الإطار الشامل الذي تدور حوله الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات مما أحل تجسيد أفكاره وألآمه، وهو ينتقل من غضاء إلى فضاء بل من معاناة إلى معاناة، وذلك بطريقة متميزة تبرز فيها فنيات الفضاء وجماليته مما أعطى للمتن الروائي أبعاد ودلالات فنية اندفع بالقارئ إلى اكتشافها والغوص فيها.

1- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص81.

2- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص23.

3- الرواية، ص36.

4- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص81.

5- الصديق الحاج أحمد، رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص194.

ويعد الفضاء البؤرة المركزية في الرواية ووظف توظيفا متميزا إن كان مسرحا لتقاطبات الأمكنة المغلقة والمفتوحة والتي تدور فيه أحداث ومجريات الرواية.

فالأمكنة المغلقة في أغلبيتها شكلت أيقونات رمزية تحيل إلى مرارة العيش والمعاناة والهجرة غير الشرعية.

رغم هذا يبقى الفضاء الروائي الإطار الشامل الذي يلف مختلف التقنيات السردية بما فيها المكان والزمن والشخصيات حيث تعد هذه الأخيرة الركيزة الأساسية لرواية وأهم عنصر لنجاح الرواية لأنها تصور الواقع من خلال تفاعلها وحركتها مع غيرها.

وقد كان هذا الحي بمثابة مجتمع مصغر لإفريقيا ككل حيث اجتمعت فيه جميع جنسيات لكامراد فكان مقسم إلى جهات كل جهة تخص دولة افرقية كدولة النيجر والكامرون وانتشرت فيه جميع الآفات والأمراض والدعارة والمخدرات.

من خلال ما تطرقنا إليه نلاحظ أن أهم الأماكن التي أثرت على البطل "مامادو" هي:

- تعلق مامادو في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع بالمكان إلى كبير وهذا الإرتباط والتعلق بدوره أثر على شخصية البطل فنجد البيت ونيامي موطن البطل كونهما مكانان ذا طبقة كادحة بحيث أنه يعيش في فقير اسمه "Gمكلي " حيث يصف الكاتب هذا الحي الذي يسكنه البطل بقوله لسان موظفة الاستقبال للأسف سيدي ... بقيت لنا غرفة واحدة جهة النهر أي ناحية حي G مكلي الشعبي المصنف كأفقر حي بالعاصمة [1].
- ولأن البطل "مامادو" كان يسكن في بيت فقير وحي حاول أن يسافر ويحسن وضعه المعيشي بهذا الصدد يقول :كان لبدا علي أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة استجداء جنة الخلد ...تحت شعار يافطة كبيرة كتب عليها (من أجل حياة أفضل....)[2].
- في رحلة البطل الشاقة المتعبة التي ذاق فيها الموت نجد أنه حين وصل باريس ليكاماراد (تمراست الجزائرية- انتعش وحس أن الحياة عادت من جديد بعد أن ذاق ويلات الموت بهذا الصدد يقول الكاتب على لسان بطله :" دخلنا الأطراف الجنوبية لمدينة (طاما) ههه عفوا...باريس لكاماراد كما يحلو لي دائما أن أصفها..بعد رحلة مقرفة دامت خمسة عشر يوما بالتمام والكمال رأينا فيها أشياء. تشبه تلك التي يقولون عنها أهوال القيامة "[3]

[1] الصديق الحاج أحمد كاماراد رفيق الحيف والضياع ص22.
[2] المصدر نفسة ص7.
[3] المصدر نفسة ص179.

- أما الصحراء المكان المفتوح الذي فيه ذاق البطل "مامادو" أهوال الموت فقد وصفها بالقيامة وأهوالها حيث نجد أنه حين سرد قصته عنون هذا الفصل ب"الصراط"..حيث يقول:"وقد رأيت معي سيدي ..في مواقفي السابقة وحضورها وعدم خيبتها ؟؟ لاسيما (على الصراط) حيث شارفنا على الموت من انقطاع الماء في صحراء المهربين [1].
- ويقول كذالك بنفس الموضع حين كان بالصحراء :" قضينا يومين نتقصد الماء ونتقشف في الزاد القليل أصبحنا على شفير الموت؟؟[2].

فالصحراء بالنسبة للبطل يوم الحشر يوم الموت ومواجهة المصير فكانت بمثابة الأنفاس.

5-المقهى

مكان مغلق باعتباره يقع داخل مبنى، ومكان مفتوح لأنه يستقطب اللقاءات العامة والخاصة" إنها مفتوحة للكل، الكل يلجأ لها، وأقول على الخارج بما فيها من أشخاص، فداخلها يتجدد كمياه البحر وفي تجدده تعدد المشارب والأهواء وتتعانق اللغات والقضايا وبالتالي هو مكان الفرجة على الآخر[3].

في هذا النص الروائي تردد ذكر المقهى عدة مرات حيث وصف لنا " مامادو" المقاهي التي زارها بمدن أحلامه كما يلي:

مقهى الانترنت بحي G مكلي: يصف لنا " مامادو" مقهى الانترنت الموجود بمدينة نيامي، الذي نعته " بكوخ الانترنت"[4].

يقول بالله عليك كيف تطلق على هذا المكان اسم CYBERCAFE مساحته لا تتعدى تسعة أمتار مربعة ألقيت في جوفه بشكل غير متناسق أجهزة كومبيوترية مستعملة، تكاد حروف وأرقام لوحها تمحى.. مع شاشتها الباهتة[5].

1- **المقهى الأمازيغي:** يقع بعين قزام، يصفه " ماماجو" مقهى بسيط، لكنه وبكل إنصاف أحسن من مقاهي عاصمتنا ومطاعمها...ريضنا بطاولة حديدية مركونة في زاوية من

[1] المصدر نفسه ص350.
[2] المصدر نفسه ص146.
3- صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، ط1994،1م، دار الحوار للنشر، سوريا، ص53.
4- الرواية، ص44.
5- الرواية، ص44.

المقهى، كان هناك " كامارادیون" وآخرون في المقهى، لعلهم جاؤوا قبلنا الغبار يلبس رؤوسهم ووجوههم[1].

فالمقهى يعتبر أحد العلامات المكانية البارزة، فهو مكان يستقطب كل الناس على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم وانتماءاتهم.

" فالمقهى كمكان انتقال خصوصي بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هاش الحياة الاجتماعية الهادرة[2].

والمقهى أضحى مكانا للراحة والاحتماء من لفح الحر" أشار علينا مفوضنا من العالم لأمة " ليكاماراد" أن نرجع لمقهى الأمازيغي الذي استعطفنا صباحا، فيه رواق نستظل تحته، نأكل شيئا مما يبيعه في مقهاه"[3].

وفي الرواية كذلك ورد على أنه مكان للاستراحة من تعب الطريق، يقول " مامادو":" هي فرصة للاستراحة بأحد المقاهي القريبة[4].... انزوينا إلى مقهى على الرضيف الأخر من الشارع الخلفي تنبعث منه موسيقى صاخبة، عرفت فيما بعد أنها موسيقى (الراي)"[5].

من خلال وضف "مامادو" ولهذا المكان يعتبر زخرفة فنية لتضاريس الفقر والبؤس وانعدام الترفيه عند سكان الحي الشعبي نيامي بالنيجر حيث علامات عدم وجود عيشة لائقة تحيط بهذا المجتمع وهذا الحي في كل مكان.

1- الصديق الحاج احمدن رواية كما راد رفيق الحيف والضياع، ص155-156.

2- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص91.

3- الرواية، ص164.

4- الرواية، ص185.

5- الرواية، ص185.

المبحث الثاني: جماليات حضور الشخصيات

المطلب الأول: الشخصيات الرئيسة ودورها

تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الكاتب وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير الاحداث العمل الروائي لذلك فالروائي لا يقدم لنا شخصية بأسلوب واحد، فقد يسير معنا خطوة في بناءها ووصفها يستطيع الكاتب مسك زمامه وتطوير الحدث من نقطة البداية حتى لحظات التقرير في العمل الروائي وعليه فشخصية بوصفها عنصرا روائيا هاما لا يمكن فصله بأي حال عن باق العناصر.[1]

1- الشخصيات الرئيسية:

تعريف الشخصية الرئيسية: هي شخصية "فنية" يختارها القاص لتمثيل ما أراد تصوير أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، إذ يوجد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي الى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية التي تعني أقل أهمية من قبل الكاتب فالشخصية الرئيسية هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام.[2]

بقول سعد علواش: "الشخصية الرئيسية هي الشخصية التي تتمحور عليها الاحداث في السرد وهي الفكرة الرئيسية التي تسبح حولها الحوادث وهي الهام بموقف بطولي فردي".[3]

من هنا يمكن القول إن الشخصية الرئيسية في أي سرد قصصي، مسرحيا كان أم روائيا فهي المحور الأساسي التي تتمحور عليه الاحداث وتأتي الشخصيات الباقية العوامل المساعدة لها.

الشخصيات الرئيسية في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق الحاج أحمد ودور كل منها:

1- نصر الدين، الشخصية في العمل الروائي، مجلة الفيصل الثقافية السعودية، دار الفيصل الثقافية، العدد 37، ص 20.

2- غسان كنافي، جماليات السرد في الخطاب الروائي، المكتبة الوطنية، دار مجد اللاوي، ط 1، ص 131.

3- سعد علواش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985، ص 126.

- **مامادو:** أو محمد أو محمادو[1]، يروي لنا أحداث تخصه حول الهجرة الغير القانونية نحو الجنة الوهم وانتقاله عبر الأماكن المكونة لحياة الفقر والشقاء ذو وجه شقي رسمت عليه ثلاث وخزات، كائن بسيط عنصر من عناصر أفقية على الوجه اليمني[2] ، يعيش رفقة أمه وأخنه زينابو اضطر لترك المدرسة رغم تفوقه فيها ليتحمل مسؤولية الأسرة بعد وفاة أبيه ، نشأ في قبر خارج التطور الحضاري بالنيجر–نيامي– .

أدت به الظروف القاسية والأوضاع الاجتماعية إلى الهجرة نحو الفردوس الأوربي، هروبا من الواقع المسدود في بلاده." كنت كثيرا ما أحدث نفسي قبل النوم ..وأنا مستلقي على حسيرة برحبة البيت بالقول إن خيار وقوفك على جبل الاقراع المطل على مدينة سبته أو جبل Gالمطل على مدينة مليلة.....كما تميز حب البطل للرقص وترديده لنغمة فرحة "صابو أي صابو"[3] ، وكان دائما يفكر ويحن إلى أمه وأخته أثناء رحلته وكان دائما يتصور في مخيلته أمه واخته ليلا في الرحبة بالمكان المعهود"[4]

- **سلاماتو:** هي أم البطل مامادو، يصفها بأنها لها قرط حديدي مخرز فيه فتحة منجرف أنفها هذه خاصية تميزها عن غيرها من النساءطقوس قبيلة بورود يذكر بأنها خرفات وأساطير إفريقياولكن مع الوقت تخلى بعض النسوة عن هذه الحلقات فطلب مامادو من أمه أن تحتفظ بهذه الحلقات حتى تحافظ على أناقتها.[5]

ويقول مامادو "بأن أمه كانت صبورة وحنونة تحملت جميع قساوة الحياة بعد موت أبي، فيذكر مامادو بأن "أمه كانت ترسم على وجهها قسامات الحرقة ولوعة الفراق تسبق الوداع كان بجانبها أمل اللقاء"[6]

[1] - المصدر ،ص39.
[2] - الصديق الحاج أحمد، رواية، ص40.
[3] -المصدر ، ص126.
[4] -المصدر، ص126.
[5] - المصدر ، ص40.
[6] - المصدر، ص102.

- **إدريسو:** هو رفيق البطل مامادو، كما سماه البطل ووصفه بالكثير من الصفات، وكان كخلصا وفيا ومخلصا وكان محرضا لرفاقه نحو الهجرة والموجه في الرحلة حيث قال عنه مامادو:" إدريسو كثر الله من أمثاله....، ورغم حصوله على جواز السفر المزور كان قلقا لعدم وجود شبه مورفولوجي للجوزات الجاهزة وكان يصرح بالهجرة معهم حتى أن لم يأت جوازه سيبقى معي"[1]
- **كايطا:** مالاياني مكلف بمخيم لكامراد المسمى بالشاطو نواحي مقطع الواد بتمنراست، قال عنه مامادو:" بعد دقائق قليلة خرج لنا شلب ثلاثيني طويل معتدل مع عرض بيّن الأكتاف يلبس سروال جينز أزرق فاتح وقميص رياضي أصفر... ظهر لي في الأول شخص محبوب ومرح وبينما نحن وقوف أعطانا كايطا لمحة عن الحيّ وقاطينيه من سلالة كاماراد"[2]

- **المخرج جاك:** المخرج جاك هو شخصية أجنبية في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع". وهو مخرج أفلام وثائقية يأتي إلى البلاد لتوثيق نضال الشعب ضد النظام القمعي. يعمل جاك على صنع فيلم وثائقي عن الثورة، ويسلط الضوء على معاناة الشعب وتطلعاته. يشهد جاك على الأحداث التي تتكشف في البلاد، ويوثقها بكاميرته. ينتقد جاك النظام الحاكم من خلال أفلامه، ويكشف عن الظلم والفساد. من خلال شخصية المخرج جاك، يستكشف الصديق الحاج أحمد الدور المهم الذي يلعبه الفنانون الأجانب في تسليط الضوء على الصراعات الدولية وحشد الدعم لقضايا حقوق الإنسان. يسلط جاك الضوء على قوة الأفلام الوثائقية في رفع الوعي وإحداث التغيير الاجتماعي.

المطلب الثاني: الشخصيات الثانوية ودورها

هي الشخصية التي تكون العامل المساعد لربط الاحداث وإكمالها الرواية وهي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية وتكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية

[1] - الصديق الحاج أحمد، رواية، ص286.
[2] - المصدر نفسه، ص 195.

وتعديل سلوكها، وإما تبع لها تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها تكشف أبعادها.[1]

من هنا يتبين لنا أن الشخصية الثانوية تأتي في الأهمية الثانية بعد الشخصية الرئيسية لكن لا يمكننا التخلي عنها.

الشخصيات الثانوية في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق الحاج أحمد ودور كل منها:

- **الرفيق عسمانو:** الرفيق عثمانو هو شخصية ثانوية مهمة في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع". وهو أحد أقرب أصدقاء رفيق ورفيق في السلاح، ويلعب دورًا رئيسيًا في النضال ضد النظام القمعي. عثمانو هو الصديق المخلص لرفيق وهو مستعد للتضحية بحياته من أجله. عثمانو مقاتل شجاع ومخلص، وهو أحد أكثر المقاتلين مهارة في جماعة رفيق. غالبًا ما يلجأ رفيق إلى عثمانو للحصول على المشورة والنصيحة، حيث يحظى باحترام كبير في المجموعة .من خلال شخصية الرفيق عثمانو، يستكشف الصديق الحاج أحمد أهمية الصداقة والولاء والثقة في النضال من أجل الحرية والعدالة. يظهر عثمانو أن الصداقة الحقيقية يمكن أن تكون مصدرًا للقوة والشجاعة في مواجهة الظلم والقمع.
- **الرفيق غاريكو:** الرفيق غاريكو هو شخصية ثانوية مهمة في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع". وهو أحد أقرب أصدقاء رفيق ورفيق في السلاح، ويلعب دورًا رئيسيًا في النضال ضد النظام القمعي. غاريكو هو الصديق المخلص لرفيق وهو مستعد للتضحية بحياته من أجله. غاريكو مقاتل شجاع ومخلص، وهو أحد أكثر المقاتلين مهارة في جماعة رفيق. من خلال شخصية الرفيق غاريكو، يستكشف الصديق الحاج أحمد أهمية القيادة والإستراتيجية والتنظيم في النضال من أجل الحرية والعدالة. يظهر غاريكو أن القيادة الفعالة والتخطيط الدقيق يمكن أن يساعدا في التغلب على حتى أقوى الأنظمة القمعية'.
- **الرفيق ساكو:** الرفيق ساكو هو أحد الشخصيات الثانوية المهمة في الرواية. وهو عضو في جماعة رفيق، ويلعب دورًا مهمًا في النضال ضد النظام القمعي. ساكو مقاتل شجاع

1- غسان كنافي، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 132.

ومخلص، وهو أحد أكثر المقاتلين مهارة في جماعة رفيق. ساكو خبير عسكري ماهر، وهو مسؤول عن تدريب وتنظيم القوات الجديدة في الجماعة. غالبًا ما يلجأ رفيق إلى ساكو للحصول على المشورة والنصيحة، حيث يحظى باحترام كبير في المجموعة. من خلال شخصية الرفيق ساكو، يستكشف الصديق الحاج أحمد أهمية الخبرة العسكرية والولاء والتضحية في النضال من أجل الحرية والعدالة. يظهر ساكو أن الفرد يمكن أن يحدث فرقًا كبيرًا في الكفاح من أجل قضية يؤمن بها.

- **ألكيس:** هو قائد المنقذ والحكيم والمدبر للرحلة خبير بمسالك الهجرة ومقارعة السماسمرة المهربين، يحصل على جوازات السفر المزورة ويجد لرفاق الملجأ والملاذ ويوصلهم جميعا إلى نقطة النهاية يقول مامادو عن أليكس:" شخص نزيه وضعنا فيه ثقتنا"[1]

نجد أن شخصية البطل مامادو هو الصورة المحورية في الرواية والطاغي في النص والعنصر الفعال، حيث يملك حصورا قويا من خلال يومياته وحوراته فهو الشخصية الأساسية، أما الشخصبات الأخرى فهي شخصيات ثانوية.

[1] - الصديق الحاج أحمد، رواية، ص286.

الفصل الثاني

جماليات اللّغة في الرواية

المبحث الأول: عتبة العنوان وما بعدها

المطلب الأول: عتبة العنوان وامتزاج اللّغة الفصحى باللهجة العامية واللّغة الفرنسية

المطلب الثاني: التهجين وامتزاج الفصحى بالعامية والفرنسية وغيرها

المطلب الثالث: التصوير والدلالات

المبحث الثاني: توظيف الموروث الشعبي والثقافي

المطلب الأول: الموروث الديني

المطلب الثاني: الموروث الاجتماعي

المطلب الثالث: البعد الأسطوري والرمزي

لقد أجمع النقاد والدارسون على أن اللّغة هي الركيزة الأساسية في الرواية، فهذه الأخيرة تَتَكُؤ عليها لتنسج وتُحيك أجمل القصص والأحداث، فبواسطتها يتمكن الروائي من نقل القارئ إلى عوالم من التخييل والإبداع، ويفتح لـهُ أفاقا ورُئ جديدة يستلهم من خلالها تجارب غير مألوفة لديه، لذا انكبت الدراسات على إظهار الجانب الجمالي للّغة وتنوعت تعريفاتها وتباينت وفقا للتطور الفكري والايديولوجي عبر الزمن، ولعل من أشهر تعريفاتها المتداولة عند العرب تعريف" ابن جنيّ" لها في كتابه الخصائص بأنها:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]. كما عرفها اللساني" دي سوسير" بأنَّها:» –نظام من الإشارات التي تعبر عن أفكار–ويفرق بينها وبين الكلام باعتبارها نظاما من القواعد المستقرة تجريديا في ذهنية جماعة من الناس، بينما يمثل الكلام الاستخدام الفردي الذي ينتقي من هذه اللغة ما يناسبه ويتفق مع أغراضه" [2]ففتح بذلك سوسير الباب واسعا على مصرعيه للغويين و النقاد من بعده كي يوسعوا في دراسة البعد الاتصالي للغة. و بعدها الجمالي الإبداعي التخيلي، فلم تعد اللغة مجرد وسيلة تواصل حاول الإنسان مُن خلق أن يعبر بها عن متطلباته وخلجات نفسه، بل أضحت بمثابة 'كاميرا' تصور بدقة فائقة كل تموجات الأحلام وقفزات الوعي باستخدام الألفاظ و التلاعب بالكلمات، وهذا التصوير والتلاعب هو الذي يحدد جماليات تيمة التخييل في الرواية المعاصرة، وبفضله قطعت أشواطا مهمة نحو الحداثة والتغيير، لذا حاولنا قدر الإمكان تتبع هذه الجماليات في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" لصاحبها الحالم الروائي " الصديق حاج أحمد " اللقب بـ:"الزيواني" الذي صوّر تيمة الهجرة غير الشرعية من منابعها، وعاش تفاصيلها، كون مسقط رأسه ولاية أدرار تعد محطة مهمة في هذه الرحلة المميتة، فسافر أولاً لجمع مادته الروائية ثم سافر ثانيا بخياله ليسلط الضوء على أحد أهم قضايا العصر شياكة، محاكيا ثنائية القديم والجديد، مازجًا ثقافة الماضي بثقافة الحاضر، متطرقًا لقضايا العصر من ظلم وحيف والبحث عن الحرية والانعتاق...فاختار عنوان "كاماراد رفيق الحيف والضياع" ليكون نقطة انطلاقته نحو تجربة جديدة يرسخ بها قدمَهُ في هذا المضمار، ويثبت مدى أصالته واحترافيته في نسج وبناء الصرح السردي فأثرنا نحن كذلك البدء بـه في دراسة لغة الرواية.

1– اللغة من إبن جني إلى سوسير – جريدة المدينة at.madina.com.https://WWW..

2– المرجع نفسه.

المبحث الأول: عتبة العنوان وامتزاج اللّغةالعربية الفصحى باللّهجة العامية واللّغة الفرنسية

المطلب الأول: عتبة العنوان وما بعدها

إن أول ما يلفت الانتباه لرواية كاماراد رفيق الحيف والضياع هو العنوان، فكأن "الزيواني" استقصد عمدًا أن يشد القارئ إلى عنوانه المتميز فاختار كلمة "كاماراد" والتي تعني "الصديق باللغة الفرنسية" فترجمها كما هي بأصوات عربية فاختار "صوامت اِنفجارية " لتبدأ بها الكلمة وتنتهي وهي حرف "الكاف– ك–" في البداية وحرف "الدال– د–" في النهاية. وبينهما ثلاثة مدود من الألف في إشارة إلى انفجار واستعلاء غرضهُ. لفتٌ صارخٌ للعنوان، وقرعٌ لأذن المتلقي أو القارئ، مما يثير فيه الفضول، ويهدهد أوتار قلبه وعقله ويشوقه لمعرفة تفاصيل الرواية، بالإضافة إلى أن كلمة" كَامَارادْ" تطلق على من يسلك در الهجرة السرية كما جاء على لسان "مامادو": "... الذين تلتصق بنا صفة الرفيق كاماراد بمجرد دخولنا أول نقطة حدودية للجارة الشمالية...نُنعتُ بها ة نُسرُّ بلبسها والتطيب بذكرها..."[1].

كما أرفق الغلاف بصورة معبرة تختزل قيمة الهجرة السرية وغير الشرعية، حيث صور شباب يحملون أمتعتهم و يتوجهون نحو المجهول في مشهد ضبابي ولون باهت للسماء لدلالة على السير نحو المجهول والغامض، وتحت أقدام هؤلاء الشباب صوّر الزيواني مشهد الحقيقة المرعب، وهو قبور عليها شواهد رسمت عليها أحلام هؤلاء الشباب من سماء صافية وزُرقة بحر غاية في الجمال، ليبعث الزيواني بذلك أول رسائله أن هذه الزرقة المغرية للطامحين ما هب إلا حتفهم وهلاكهم، وأن حقيقة هذه المغامرة أو المقامرة كما أسماها ختامها موت وفنان حيث قال:" أخد فكرة عامة عن خلفية الأسباب التي تركت هؤلاء الشباب يقامرون بحياتهم في الصحراء المرعبة و يغامرون بأرواحهم في البحار المرعدة.[2] ووظف كلمة المقامرة في كذا موضع ليعبر بها عن هذه الرحلة المشؤمة لأن لعبة القمار يغامر فيها صاحبها كما يغامر المهاجر في قوارب الموت إمَّا أن يفوز أو يخسر، والخسارة أقرب من الفوز والنجاة.

1– الصديق حاج أحمد– كاماراد رفيق الحيف و الضياع–ص37.

2– المرجع نفسه–ص15.

بعد ذلك استهل الروائي روايته بشاهد من أغنية " الحرا Gـة" لمغني الراي الشهير 'الشاب خالد':

المستقبل مسدود..

ما أبقى فالدُّوق حتى بنـه..

المـوت ولا الــدود.. !! [1].

ثم يعود ويكرر هذه "النتفة" في سياق حديثه عن المقهى في تمنراست حيث قال على لسان "مامادو" بطل روايته:" نهض أليكس، تحدث معه بفرنسية عادية، تجاوب صاحب المقهى بكل أريحية، طلب لنا زعيمنا مشروبًا باردًا...الموسيقى كانت خفيفة، إيقاعها عجيب، ما سمعته من كلماتها العربية الدارجة ولم أفهمها في حينها:

المستقبل مسدود..

ما أبقى فالدُّوق حتى بنـه..

المـوت ولا الــدود.. !! [2].

فمن خلال الاستهلال بهذه الكلمات والألفاظ تم تكرارها بعد أكثر من "150 صفحة" دليل على أن الروائي يُحكم قبضته على مجريات المتخيل السردي لديه، فهو وضعنا أمام جدلية اليأس من المستقبل و فقدان الأمل في أحضان الوطن الأم، وحتمية المغامرة و ركوب الخطر نحو" الألـدورادو"[3]، وهذه هي الذهنية السائدة و المسيطرة على تفكير كل الشباب الذين يفكرون في الهجرة السرية كحل لتغيير واقعهم و الخروج من بؤر البؤس و الفقر والضياع، وليؤكد الزيواني على هذه الجدلية يواصل سرد رسالة مهاجر أفريقي ****

1- الصديق حاج أحمد كاماراد – ص5.

2- المرجع نفسه- ص186.

3- المرجع نفسه- ص45.

* الألدورادو: تعني المذهب بالإسبانية يطلق اللفظ في عممه على أماكن الغنى و الفردوس.

تناقلتها وسائط التواصل الاجتماعي، حيث تجلت في هذه الرسالة جماليات اللغة وكانت الألفاظ خدم المعاني وهذا جزء مما ورد فيها:

العبارات	معانيها	الصفحة
أنا مترح جدا يا أمي لأن القارب غرق بنا في عرض البحر. .. من يدري؟	ذكر الأم السند الذي لا يخذل ولا يتخلى، والحب الصادق والأبدي ومُناجاتهِ	
ربما أكون اللحظة في جوف الحوت	المصير المحتوم والمؤكد.	الصفحة 07
أعرف أني تركت خلف ظهري رسالة ثقيلة من الديون على كاهل الأسرة... تقويتُ بعكازتها على ابتزاز سماسرة تهريب البشر....	الندم والحسرة على ضياع المال وإغراق العائلة في الديون بسبب الأموال المدفوعة لسماسرة تهريب البشر–المستفيد الوحيد من كل ذلك.	
استرحمك أمي لا تجزعي إن لم تصل رفاقي وألحد جنب طمر بي و جدي...مع أختي التي ماتت بوباء الكوليرا و أخي... الذي هلك مؤخرًا بالأيبولا.	التخفيف من وطئ الصدمة على الأم، وأن قسوة الموت بالكوليرا أو الأيبولا في الوطن البائس.	
أنا متحسر جدًا يا أمي، لأن العيلة و الحروب الأهلية و الأوبئة..دبروا أمرهم بليل... شكلوا حلفًا علي حرضوني و الله.	يبرر لنفسه سبب انسياقها نحو الهلاك.وأن لا ذنب لها بل الذنب ذنب الفقر والحروب الأهلية والأوبئة هم الحلف الشرير الذين دبروا مكيدة الهجرة وحرضوه يقسم لها.	

*** لابد عليّ أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة إستجداء جنة الخلد تحت شعار *** كبيرة كُتب عليها: من أجل حياة أفضل.	الظروف القاسية والمشتركة لآلاف الشباب الإفريقي التي تدفعهم للمغامرة بحياتهم تحت طائل الشعارات الزائفة والمظللة.	
أحلامي كانت بسيطة لا تعدو أن تكون سداد الديون أولا، بناء بيت متواضع... شراء دراجة YAMAHA	التأكيد على الحرمان والبؤس في الوطن الأم حتى من أبسط الأشياء.	
اعتذر لك أخي الصغير لأني منيتك... أرجوك يا أختي الصغيرة أن تسامحيني أيضًا...	ضياع الآمال في تحقيق أحلام الإخوة الصغار حتى لا يكون مصيرهم كمصيره.	الصفحة 08
عفوا يا وطن !! كلانا ميت فقط الأسباب متعددة، أنا غريق وأنت منحور بمدية حكامك العسكر...	كلمات تصور فعلا الواقع المرير لسكان القارة السمراء فالشعب والوطن كلاهما ميت ومقهور في ظل سلطة قبضتها بأيدي الساسة والجيش.	
شكرًا بحر الروم(المتوسط) على حسن الضيافة، زعم الدجالون أنك أبيض... *** الأسود والأحمر مقامهما بالشرق ...لعمري أنك قمين بهذين الوصفين.... أخير...حللت أهلا يا غرق... نزلت سهلا يا بقبقة... بق...بق...بق.	الاستهزاء بالقدر وضحكة الذبيح والاعتراف بأن البحر الأبيض هو أسود سواد المستقبل المظلم وأحمر بدماء الهالكين فيه، وأن الإفريقي سيظل يلعن الفقر والحيف إلى آخر أنفاسه.	

وداعًا أيها الجنوب البائس.		

فرغم بساطة الكلمات ووضوح اللغة في هذه الرسالة إلا أنها تنطوي على معاني سامية، من أهمها الأسباب والظروف التي تدفع بالشباب الإفريقي نحو هذه الهجرة الملعونة، وأبرز الأسباب طبعًا الفقر والحروب الأهلية والأوبئة القاتلة... ظنًا منهم أنهم عندما يقامرون بحياتهم سيتمكنون من إنقاذ وتغيير ظروفهم وظروف أهاليهم إلى الأفضل، وإخراجهم من نيّر المكاره التي تعصف بالإنسان المقهور داخل مجتمع محبط تنعدم فيها لقيم والعدالة الاجتماعية وتهيمن عليه المصالح الشخصية والرأسمالية.

المطلب الثاني: التهجين[1] وامتزاج اللغة الفصحى بالعامية والفرنسية وغيرها.

لقد أفتكت الرواية المعاصرة سمة الحداثة من قاموسها المقتبس والغني بالألفاظ، فلقد تمردت ألفاظها ومصطلحاتها، وأبت الانطواء تحت لواء شكل معين وقالب جاهز، وأصبحت لغتها مزيجًا من عدة لغات ولهجات وتعبيرات متصلة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية وهذا التنوع لم تخلُ منه رواية "كامارد" لذا حاولنا تقصي هذا الخليط الرائع من الألفاظ والكلمات في الجداول الموضحة أدناهُ، مع بيان فضلها في نماء وتطور وبناء المتخيل السردي.

1) **اللغة الفصحى:** لقد كانت اللغة العربية الفصيحة الأكثر حظًا في التوظيف حيث شكلت السواد الأعظم من مصطلحات وألفاظ الرواية عاكسة بذلك المسار التعليمي الزاخر" لزيواني" وكذا تكوينه الإيديولوجي، فتنقله بين المدارس والجامعات والزوايا مكنّه من التحدث والكتابة باللغة العربية بكل طلاقة ناهيك عن كونها اللغة الأم لهُ، وقد اخترنا بعض ما استحسناه مم كتب:

1- التهجين: يعتبر التهجين أحد الطرائق الأساسية لبناء صورة اللغة في الرواية، وكلما طبق بطريقة واسعة و عميقة كلما اتخدت اللغة طابعًا موضوعيا – مخائيل ياختين: الكلمة في الرواية- ص:122.

العبارات	الصفحة
كان الغريق قد حبرها وشمَّعها سلفًا، فإن نجا...ذاك المرجو...وإن حَرن البحر وجاش الموج...كما المتوقع...طبع عليها قبلة الوداع وألقى بها مع آخر لحظة وعي بالحياة...بعد نفاذ الجهد واستفراغ الطاقة عن النجاة...	08
بيد أن هذا الزعم قد تلاشى عند صاحبنا...عندما اتفقت كلمة أغلب الحضور...عن أحقية المخرج الفائز، ونزاهة المخرج الرئيسي...	14
تجلت مظاهر الفرح وتضاريسه على محيا المخرج الفرنسي...الرّواة من أهل الأخبار والنوادر.	32
لا توجد لنا نوادٍ أو مقاهٍ شبابية نختلف إليها لدغدغة أحلامنا وعدّ جغرافية بؤسنا على خارطة هذه الطريق.	36
هي المرة الأولى التي أرى فيها هذا المبلغ، عفوا أملك هذا المبلغ.	86
ستبدأ مرحلة حامية الوطيس بعد قليل	122
يفرّ بعدها هذا الأخير بلحمة مع ما خفّ وزنهُ وغلا ثمنهُ من الألماس والذهب ليستقر بجاركم...	133
البعض الآخر من المغضوب عليهم يعود بها كذلك لمتحف بيته.	112
ازداد قلقي...استيقظت هواجسي ...تقرب مني ابليس.	258
الحمد لله الذي نجّى موسى وغرّق فرعون.	260
هو شخص نزيه وضعنا فيه ثقتنا بخلوات الموت كيف لا نثق به في برّ الأمان؟	280
كل شيء يهون من أجعل تحقيق حُلمي...سأعلق الصليب في رقبتي وألبس عباءة اليسوع من أجل خداع رجال الأمن...في عميقي سأبقى نيجيريا مسلمًا	291

وما يضيرني ذلك...	
وأمَّا الظالم فيسنال ما ظلم به وليس محاباة	**294**
رددنا عليه التحية...تصافحنا...دخل مسرعًا ليبشر بالغائب العائد.	**311**
عَامَ في قاموس دموع الضحك	***
أخرجت صليبي من مرقده استعداد للطريق المفحوص.	**326**
لا نطبق حيفَ هذا الفصل والله...	**347**
وأنا أحلم بالجنوب حيث الحرمان والخلاص... مظاهر الحرمان لدى الشعوب البائسة التى ترقد وراء الصحراء الكبرى.	**362**

والملاحظ من خلال الجدول مدى انتقاء الروائي للألفاظ والكلمات التي عبرت عن صدق المعاني، وسنرد المزيد منها في مبحث اللغة الشعرية.

2) **اللغـة العاميـة:** إن تطعيم اللغة الفصحى في الرواية المعاصرة باللغة العامية و الملفوظات الأجنبية، ليس دليل على ضعف رصيد الروائي وزاده اللغوي، وإنما سيطرة لبنية التهجنية على لغة المجتمع الجزائري، مما دفع "بالزيواني" إلى المشاكلة بينهم ليرسم صورة حية عن الواقع المُعاش، و يقترب بهذه الكلمات الغمية و اللهجات المحلية من ملامسة ما يعيشه عامة الناس، فبذلك تحررت روايته من سلطة و هيمنة اللغة الأحادية، و تسللت و نفذت إلى عمق المجتمع الإفريقي و قلب الصحراء الجزائرية،ومفاصل القرى و المدن المغربية، فنجد في كل صول الرواية بدءًا بـ"Gيثار الصدفة".... مرورًا بـ:"في القبر" و "البعث" وبقية الفصول وصولاً إلـى " فردوس الجنوب المنتظر" أنّ الزيواني قد ألبس لغته الفصحى رداء العامية ليعبر عن دلالات وجماليات ومقاصد يصبوا إليها، حتى في ترك الأوراق البيضاء وسط السرد وكتابة عناوين الفصول وسط الصفحة مع إضافة نقاط (....) وعلامات الترقيم بمثابة لغة هى الأخرى تضاف إلى مصافِ اللغات واللهجات التي أرادها الروائي، وآثر أن يبعث رسائله المشفرة من خلالها، وهذه بعض من نماذجهـا:

العبارات	الصفحة
لم أوفق لبئس بختي فيما منيت النفس به.	07
خزَر بلحظ العين في أنحاء المطعم.	24
لم يشبهو تلك الفرجة التي أتقن اخراجها مولى الحرفة.	32
وملة بؤسنا بـ:(ابن الكلب).	39
حرفة المنبش في الزُّبالَة.	43
طرقةُ طرقا خفيفة مُشاشة ركبته.	43
يطلقون عليهم بـ(طاما) أهل البَرازِيطْ... بلا واسطة يا مخلوق.	46
مولى العداد وجدها تبريرًا لغشهِ... وجهرها له بدعوة الشر...لا يقوى على كركرة العربة.	53
مصطلح ركايْ لذلك يجوز لك من الآن....	57
أصيبت بالدوخة وهي تحمل القدحين.	65
وظلت تمعمِعُ وحدها .../بلاتيك طاك ويوم باك.	73
أحد الحدّادين المعروفين بـ: لمعَلْمِينْ جانب السوق.	94
وهي تخرج مفتولة من خرطوم البرّاد.	95
كل تأخيرة فيها خيرة...	166
لكن يبدو أن مهندس البناء بحسب ما قال لي: "إنّه شاوي مفرعن".	169
يا مكانك أن تطرَّق منجلك يا دودو !! دندنت قهقهة شامتة لكني سرعان ما سرطتها.	205
خلال هذه المدة أتى صديقنا بطاسة كبيرة	206
بعدها يشترطون في طلب الأسعار ويتحلبون.	226
(يصبحُ ويفتحُ) قال لنا.	145
مع غثيان البيت بهؤلاء الطالبين ومرافقيهم.	218

طرقوا مناجلكم يا رفاق.	
طاب قاعها من النار.	232
شريكي "أورو قريب من Gــورو.	240
يدعو هذه الأخيرة بقوالب الوردي. يبيعلك بصيلة حمراء....	278
بعدها أبان لي إدريسو عن سهمي...بمعنى ان سهمه سيكون زائـدًا علينا...	282
صاحب المطعم تلّــيّ أشقر.	300
يقيم لها ساكنة القصر وعدة سنوية.	304
حـي أُبني وسكتْ	311
تخلطت فيها الفرنسية المكسرة...بالعربية المعطية.	317
غير أنّ كرشه المنتفخة. أنتم تحلّبتو يا الخاوة ... خلينا أنشوفْ هاذْ الجداد.	318
أخيرًا سخر !! كان طنّازٌ لا يمكن أن يمر مشهد دون أهكومة....	320
أنهينا عملنا عند المقاول الزّهواني.	321
أهل التَّل الجزائري.	326
نتقرب من رصيف يا فطة المدينة. عوامل مقنطة حقا بالنسبة لي.	327
نظير جميلها فــيّ.	340
بيوت بالقطاطين والمشاشين نسبة لمصطلحي "لقطوِط" أَمْشوشْ	349
للمجتمع الأفريقي الرّاقد خلف الصحراء الكبرى.	352

فبالإضافة إلى مزج اللغة الفصحة بالعامية للولوج إلى أعماق الذهنية الإفريقية عمومًا والجزائرية خصوصًا وظف "الزيواني" أشكال متعددة أخرى منها اللغة الفرنسية المعربة والمستعملة كأنها عامية خاصة في المجتمع الجزائري مثل:

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
ديكتافور	16	سيرغماتيا	236
أجل مون يا طرون	26	ويْ مون باطرون	242
Oui مونْ ياطرون	26	الشومارة	247
ستيشن–شينْواز	62–85	كانزْ مليون سنتيم	250
تْراكْ	97	البروفايلينغ	256
الكاميرامانْ	111	كلونديستان	264
الخيتلمان	125	بوتيك	267
بيانسيغ مون كامغاد	157	الرّاي بـَنْ	286
هليكس	166	مورفولوجيا	302
مالبورو	168	البُرُوفـَايلينغْ	302
أوكي رفيقي	191	سطُوبْ–فريجيدير	317
شورت بوكسر	199	الماصو– زَالاميط	317
العفو رفيقي...باي	200	بُونْجورْ	318
أنكوفْ	225	مُونسبوغْ	322
الشاطو	229	البالة– الشيفُون	323
فيراج أنكوف	229	الطرابانْدو	337

كما تجدر الإشارة أن كلمة "مونْ باطرون" تكررت "92 مرة" سواء باللغة الفرنسية أو المعربة للدلالة على "الاستعباد والذل" الذي يعيشه الكامارادي والإفريقي عموما، حيث استعملها عامل الفندق وهو يتحدث إلى "المخرج جاك" كما استعملهُ "مامادو" في حديثه مع نفس الشخص، واستعملها "ليكاماراد" في حديثه إلى "أرباب العمل" و "المقاولين" الذين كانوا يعملون عندهم لجمع الأموال اللازمة "لرحلة الموت"، وكان الزيواني سيصور جانبا من شخصية الشباب الإفريقي الطامع في الفردوس، ونظرة العبودية التي مازالت تسري في دمهِ.

واحتقاره لنفسه، وتعظيمه للآخر أو لولي نعمته، كما حافظ الزيواني على بعض الكلمات المعربة باستعمال الفو نيم " G" و "V " لكي لا تفقد هذه المصطلحات معانيها ومن بينها:

الكلمـة	الصفحة	الكلمـة	الصفحـة
الحراGـة	05	السنيGالـيين	78
الإيـVـواري ديديه دروGبا	08	لاندْرُVـزْـ Gانيليا	129
Gـيثار الصدفـة	09	كوت ديـVـوار	140
Gـــمُكـلي	22	أمي Vـوانْثيـتا	141
الحـراG	31	Gـاي سْيكا–Gـاي سْيكا	148
جبل Gـورو Gـو	49	Gـو نْكـي	244
حيال الهـGار	50	رGـاق	305–304
أعـواد Gـورو	56	مشروب Gورو Gـورو	219
شجـر المانـG	77	سفوتيه لـ(واGـا)	222

أما الملفوظات التي جاءت باللغة الفرنسية فنذكر منها:

3)– اللغـة الفرنسيـة:

الصفحـة	العبارات
12	Cahiers du Cinéma
27	Merci mon patron–Mon camarade
36	Grand marché
39	National Panasonic ماركة
44–49	NOKIA–BIB– Mobilis

Facebook-Sms	**57**
Graven-Dunhill-Marlboro-CubanCigar	**110**
Qu'est ce que vous Buvez	**156**
Café au lait pour chacun du nous	**156**
Un morceau de pain avec de la confiture	**156**
Deux tasses de thé au lieu du café pour nous deux	**156**
Mais nous avons aucun dinar algérien	**156**
Je sais que n'étes pas le premier pas de problem	**156**
La vache qui out .	**170**
Deux Cents dinars-taxiphone.	**182**
Jus Ngaoues.	**186**
Bonjour Mon patron.	**318**
Les années précédentes.	**338**
Je vous remercive infiniment pour le Gervice	**359**
Mon Camarade.	**359**
كـما وردت اللغـة الإنجليزية في قولـه:	
Give me your passport please.	**298**
FASTFOOD	**295**
Super دو	**359**

باستخدام الروائي اللغة الفرنسية في بناء سرده "يكون قد مزج ملفوظين ووعيين في ملفوظ واحد، وكلاهما يجيلان إلى صراع القيم و الايديولوجيات وإثارة الجدل المتعلق بين الهوية و الانتماء"، فهذا الزخم و الكم الهائل من المصطلحات الأجنبية والمعربة يعكس ثقافة سكان القارة السمراء، التي بقيت تحت نيرّ الاستعمار لعقود من الزمن، حتى ذابت لغة المستعمر في اللغة الأصلية، وأصبح البعض منا– سامحه الله– يعتبر مزج الكلام بالفرنسية أو الإنجليزية مظهرًا من مظاهر التحضر والتمدّن، وكأن الذي يتحدث اللغة العربية إنسان بدائي وبعيد كل البعد عن الحضارة والثقافة، مما جعل "الزيواني" يشخص هذا الواقع المُعاش في ثنايا "كاماراد".

كما يمكن القول إغفال اللهجة "الإفريقية والتارقية الأمازيغية" التي طعّم بها الروائي متخييلهُ السردي وأوردها على لسان شخصياته وحواراتهم الداخلية والخارجية ومثال ذلك ما جمعناهُ في الجدول الموالي:

4)الملفوظات باللهجة الإفريقية والأمازيغية:

الملفـوظ	معانيهـا	الصفحـة
أيْ صَابو... أيْ صَابو	وتعني فرحان بلهجة قبيلة زَرْمَا، كما يجدر أن العبارة تكررت في كذا موضع من الرواية على لسان عامل الفندق والبطل مامادو.	26
زَرْمَـا	نسبة إلى قبيلة زرما ويطلق عليها جرما من القبائل النيجيرية التي تستوطن نواحي دوصو ونيامي.	26
Gـاي شيكا... Gـاي شيكا...	عبارة الفرح بلهجة قبائل" الهوسا"، وردت على لسان سائق التاكسي الذي نقل المخرج "جاك".	21
الهُـــوسَا	من أكبر المجموعات البشرية التي تعيش في دول غرب أفريقيا، يمتد الموطن الأصلي لهم من جبل الهواء في النيجر حتى جوس يلاتو بنيجيريا، ومن	21

	بحيرة تشاد حتى مملكة سنغاي القديمة على طول نهر النيجر.	
مجلس فضَا	مجلس نصب لع أربعة أعواد على شكل مستطيل قبالة كل كوخ، رمي عليه قش، أو متاع بالٍ.	28
لحم المَايْنَامَا	بلهجة هوسا بلاد الساحل "ماي" صاحب، "ناما" اللحم.	37
النيفْرِيلـو	سلالة أقزام زنجية ذات أصول إفريقية.	38
شَوَا	يطلق هذا اللقب نواحي تشاد والسودان على الذي يرعى البقر.	
هُـــرَا	هي كسرة من مسحوق الذرة المخلط مع الحليب.	
التاGلة	هي كسرة تقليدية، تصنع من معجون الدقيق، تصهر في الرماد، يستعملها أهل الصحاري والطوارق الملثمون.	
رنــيّ	هو ذلك الخيط الذي يربط به النساء الإفريقيات أبنائهن خلف ظهورهن.	
Gـورو	هو نبات له سيقان كالقصب يمضغ، ويترك أثر حلو بالفم.	
Gـانيليـا	قماش اللباس الإفريقي والتارقي الممتاز.	61
كَاكِيـة	كلمة فارسية تعني اللون الترابي.	61
البَامْبَارة	الزنـوج.	82
تِسَغْنَسْ	قناع مزركش تلتحفه نساء الطوارق ومن جاورهم من قبائل الصحراء الكبرى كـ:"البرابيش" و"كنتة"، "بني ملوك" و "حسان" وبَشَنْقِطْ".	155

أزَّول	لفظ التحية في لهجة القبائل المازيغ بالجزائر.	167
أGَمَسْتانْ	اسم زعيم التوارق بمنطقة الهقار (تنمراست) بالجزائر، بقي رئيسا لقبيلة كل أهقار من 1905 إلى 1920م.	167
أسِيداون	سلالة أغنام إفريقية.	175
الشعانبي	الشعانبة، قبائل عربية تستوطن نواحي متليلي، غرداية، المنيعة، ورقلة من الجزائر.	190
الفقَارات	الفقارة، سلسلة من الآبار المرتبطة ببعضها البعض يعتمد عليها الفلاحون في سقي واحات النخيل قرب القصور.	193
GورGوو	مشروب اخترعه سجناء التمييز العنصري بجنوب افريقيا قبل خمسين سنة، يصنع من تخمر بقايا اللباس المتسخ والجوارب المعكرة.	219
بِيليبْيلي كاسْيلي شُومْبولو.	مشروبات روحية تصنع من الذرة والدّخن وغيرها... تباع هذه المشروبات رخصية.	219
هووووو.....هييييي....	زمجرات إيقاع الأصوات المتماشية مع مدّ الخطوات.	353

وهذا التعدد لأشكال اللغة يكون "الزيواني" قد رسم صورة عاكسة للمجتمع الجزائري الذي اعتبره البغض:" البلد القارة" نظرا لتنوع لهجاته وامتزاج ملفوظاته، وكذا عاداته وتقاليده، فأصبغ الروائي العمل بصبغة جديدة محطمًا المعتاد والمألوف. ومخضعًا اللغة لطموحاته وأهدافه فأخرجها من معانيها الجامدة وقواميسها المضبوطة إلى عوالم من التخيل والإبداع.

ولمزيد من تسليط الضوء على هذه الانزياحات المقصودة التي جعلت كاماراد تصنف ضمن الأعمال الراقية، لابد من التعريج على الدلالات والصور الشعرية التي تتجسد فيها مرونة اللغة، وتخرجها من دوائر المعنويات والمجردات إلى المحسوسات والمجسدات. لذا وقفنا على بعض الصور البيانية والحقول الدلالية لتسليط الضوء على هذا الإبداع والانزياح للغة مما زاد في جماليات وسمات التخييل فيها:

المطلب الثالث: التصوير ودلالاته

1) **الاستعارة:** إنّ " الصورة الاستعارية تقوم على علاقات يتخيلها الكاتب بحيث تجمع بين المشابهة وغيرها، التي تسمى زاوية الخيال، وتلك أعمق أنواع الاستعارة، ومن خلالها تكون الصورة التي تتشكل من روابط شكلية تنجلي أبعادها التي يجمعها الأديب بروابط تحولها من حلة التنافر إلى حلة تبدو غاية في الانسجام، لذلك تغدوا الاستعارة ضرورة تتطلبها النفس لأنها نقلة هائلة ومفاجئة من واقع تجريدي جامد إلى وجود تأملي فكري وشعوري"[1].

كما يعرض عميد البيان" عبد القادر الجرجاني" بـ: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ أصلي في الوضع اللغوي معروفا...، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل"[2]، فهي إذن خرق لقانون اللغة وابتكارٌ في التصوير لإثارة المتلقي، و" في ذلك الاستخدام اللغوي الخاص الذي يحققه المجاز، فالخروج من اللغة الوظيفية إلى اللغة الفنية في النص يشكل ظاهرة تحتاج إلى رصد وتحليل"[3]، حتى تكون أهلا لأداء وظيفة المعنى، ومن أمثلة الاستعارة في "كاماراد" ما يلي:

الاستعارة ودلالتها	الصفحة
رسم خان الغليون عليها اصفرارا خفيفًا عند جعبتي الأنف: فكأن الدخان	12-11

1- ميس خليل محمد عودة- تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي – ص111.

2- عبد القادر الجرجاني- أسرار البلاغة في علم البيان- دار المعرفة – بيروت –د/ط – ص22.

3- ميس خليل محمد عودة- تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي – ص 58.

فنان يمسك ريشة ويرسم.	
ظهر لـه أن أحلامـه تبخرت: أي أن طموحاته ذهبت مهب الريح وتبخرت كالمياه.	**13**
مامادو يهز رأسه، بياض عينه مع أضواء فمه، تصنع حفلة مونقه بوجهه: مزج بين التشبيه والكناية لصناعة فرح ظاهر على وجه مامادو.	**31**
يرقد بينها كوب كبير: شبه الكوب بالإنسان النائم.	**39**
المكان Cyber cafe ألقيته في جوفه: صوّر المكان كالإنسان الذي يلقي شيئا في جوفه أو بطنه.	**44**
عيونها ترميني بسهام الحيرة: شبه العين بالرماية التي تقذف سهاما فتصيب بها.	**66**
قذفت صرخة–لم أسمع منها مثلها قط: فصرخة والدة مامادو عند سماعها خبر هجرته كأنها قذيفة أطلقت من مدفع.	**74**
نتلاطف بالبكاء ونتسلي بالدموع: فوظفت الأفعال نتلاطف و تتسلى في غير موضعها للدلالة على حرقة الوداع بين مامادو و أسرته.	**101**
هجمت الحافة عل الطريق المعتد المكسر: شبه الحافلة بالوحش المفترس الذي يهجم، بسبب سيرها القاتل ورجّها.	**109**
لعقت الريح لونها ة غطت الرمال ما يمكن أن تصنعه تحت سيف عرقها: شبه الريح بلسان الإنسان الذي يلعق في إنزياح جميل تعبيرًا عن تغيّر الحال واللون.	**119**
قد بكت ثيابهم من الوسخ – لا يزال الوسخ يعانقها: حيث صور الروائي ثياب الشباب المتسخة تصويرًا بديعًا دليل على طول الرحلة، مما جعل الثياب تبكي وتعانق الأوساخ.	**215**
يقذف بهم الحي للخارج في هذا الصباح الكامارادي الباريسي: استعمل	**225**

الزيواني مرة أخرى كلمة يقذف في غير موضعها حيث شبة الشباب الكامارادي وهو يغادر الحي صباحا من اجل العمل وجمع المال لاستكمال الرحلة كأنه قنابل أو قذائف يلقيها الحي من فوهته كل صباح.	

لقد حقق هذا الخروج عن المألوف صورًا جميلة أراد الروائي نقلها عن طرق الاستعارة وكذا التشبيه كما هو موضح في الجدول التالي:

2) التشبية والتراكيب الوصفية:

التصوير بالكلمة والتشبيه	الصفحة
شواربه طويلة ومبرومة حتى عادت كقرني ثور...	11
نزع جاكيته، رمى بنفسه على السرير كانطلاقة خلفية لغطاس ماهر في رياضة السباحة.	13
مرت الأيام التسعة المتبقية من المهرجان على "الأهبل" رتيبة كمشية الإبل خلال صعودها عروق الرمل.	14
تجلت مظاهر الفرح وتضاريسه على محيا المخرج الفرنسي... كبشر وجه "سلاماتو" والدة "دو" غداة عودته حيًّا.	32
ما أجمعه في كامل اليوم من هذه الحرقة... تقول أمي ببلاغتها الفطرية إنه لا يملأ حتى حفرة الضرس المسوسة.	56
صحنا حديديا ظاهرهُ يكاد يطمس من الاصفرار الذي يشبهُ اصفرار لب ثمرة شجرة (المانGو) عندنا....	65
لم تكن بقرة مبدانة، بتلك السمنة المظهرة للشحم، لكن لم تكن من ذوات الهزال المُمجّ في الأنعام، هي وسط... قوانها كان ممشوقًا. ارتسمت غُرّة بيضاء على مقدمة رأسها...	81
كانت السوق ضاجة بأصوات الحيوانات، رغاء الإبل، المختلط بنعيق النوق... خوار العجول هو الآخر مختلطمع ثغاء الماعز ومأمأة الشياه. إيقاع تلك	83

الأصوات مع نهقة شاردة لحمار... شكلت معزوفات رائعو بأجواء السوق...	
كانوا يضعون على النصف السفلي من وجوههم لثامًا، يرفعونه لأعلى... ثم يعيدونه بكل وقار...	122-123
انطلقت بنا المغامرة على الصراط اهتزازنا فوقها كمن يركب هودج بعير...	131
أمرنا بالوثوب من عربتها، قفزنا كالقردة منها والله...	135
قام الملثم من فراشه كمن وجد كنزًا...	147
القمامة هي الأخرى موجودة كأنها لا تحب أن تفارقنا.	160
لم نغيرّ ملابسنا مطلقا أصبحت كالورق تصدر أصواتا مخشخة	198
اللحم لم يكن معدوما لكنه كالمطر في الهيماء.	216
أسمع صوته يوقظني كمنادٍ أسفل البئر.	223
وصلنا عَرْصَة شاب طرقي. نصب أوتادًا كأعواد مجلسنا الموقر فضّا.	225
وثبنا لسطح العربة كالأرانب على الأرض.	229
نزلت حبات الأرز في القدر بسرسرة طرية كسرسرة فرنكات حرفة (Gورو) في حجر أمي.	232
الرفاق كانوا متراصين على الحصير كأزرار مجل إيدريسوا بنيامي.	235
نخص علاقة الرفقين، كما يُخضُّ الحليب في كوة اللبن.	267
خرجت الكلمة من فمه، هي كطلقة الرشاش سيدي.	270
الجوّ غانم، المحطة كمجتمع النمل...	295
القمل هنا مثلهُ مثل البعوض هنالك سيدي.	320
جاءنا النادل الأشقر...وقف مستعدًا كجنود الحرس الجمهوري.	327
كنا كالشمس في رابعة النار.	331
بدت لنا مدينة سبتة كعاشقة وهانة.	347

إن توظيف "الزيواني" لهذا الزخم من التشبيهات غايته –كما صرح "للجزيرة–نت" هو "عجن السرد بالسنيما و هو أملا غاية في الأهمية، مما يجعل تحويل النص السردي إلى صورة فيم أمرًا سهلاً و ميسورًا[1]، كما أن التشبيه هو عنصر آخر من عناصر التصوير الفني، وقد عرفة القيرواني بأنه " وصف الشيء بما قاربهُ و شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنهُ لو ناسبه مناسبة كلية كان إياهُ"[2]، كما قال عنه البعض أنّه: "الدلالة على مشاركو أمر لأمر في المعنى و المراد هاهنا لم تكن على وجه الاستعارة الحقيقية و الاستعارة بالكناية و التجريد"[3]، فالتشبيه وسيلة استغلها "الزيواني" أفضل استغلال لتصوير رحلة الموت، و استغل كذلك الكناية ليقذف بذهن القارئ بعيدًا، و يجعله يقرأ المعاني خلف سطور الحقيقة ليصل إلى قمة التخيل و من أمثلة الكنايـة في "كامارادو" ما يلي:

3) الكناية:

الكناية		الصفحة
عروس الضفة الشمالية للمتوسط: فرنسا.		11
الصحافة الصفراء: الزائفة والراكدة وراء الخبر غير الموثوق.		13
لقطران حظ المخرج: سوء حظه وسواده.		13
لم يمض على حلاقة ذقنه ساعة زمنية: صغر سنه ككناية الخنساء في أخيها صخر(أمرد) .		18
أسنانه البيضاء تُضئ عتمة وجهه.	مزج بين الكناية	20
مشعلا مصابيحه.	والاستعارة المكنية	23
مصابيح أسنانه مشتعلة.	للتعبير عن الفرح	30
مصابيحه الخارجية و فوانيسه الداخلية اتقدت .	والابتهاج وشدة بياض	246
أشعلنا قليلا من مصابيح أسنانه.	أسنان الإفريقي.	268

1– الخير شوّار– رواية كاماراد– الهجرة غير الشرعية من منابعها– https://WWW–aljazeera.net

2– ميس خليل محمد عودة–تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي–ص112.

3– كمال حسن مرعي– المجموع الكبير من المتون–المكتبة العصرية–بيروت–ط1–2005–ص248.

كاد أن يبعث به رسول الرقص كناية عن شدة الفرح.	
ابن الكلب كناية عن قلة الأصل.	**39**
المنبش في الزبالة حرفة يمتهنها الأفارقة، متتبع العورات.	**43**
بلا (تيك طاك) أو (بوم باك) يا أمي مناية عن المقدمات الطويلة.	**73**
كان مسرحا لمباريات البكاء و بطولات الهرج كناية عن الحزن والألم.	**74**
يلف على رأسه شاشًا أسودًا، عيناه تسكنان مغارة، عمق العين و حدتها.	**77**
رشاش خلاصه" الله غالب" سلاحه لدفاع عن نفسه.	**87**
الطريق المليء بالحيف والضياع، مظلم و ظالم.	**91**
يشرب فيها السماسرة حتة دمك شدة الابتزار و قمة الاستغلال.	**92**
ابتزاز أهل اللثام استغلال الطوارق و المهربين (دروب الصحراء).	**93**
يقوم هو الآخر بحفلة مراسيم البكاء مع أمه كناية عن الوداع	**101**
أن *** لى هذا الأخير"ببنت شفة": أن ينطق بكلمة.	**142**
يمكن لجيوبنا المثقوبة أن تستريح: كناية عن نفاذ المال بسبب ابتزاز المهربين و العارفين بدروب الصحراء.	**159**
بانت أسنان مُبشرنا البيضاء الفرح و الأخبار السارة.	**165**
فقوى بنيتنا و عرّق أوردة دمنا كناية عن البنية الجسدية القوية التي يتمتع بها الإفريقي.	**170**
جلوسها معنا على الشوك و الله: عدم الرغبة في البقاء.	**202**
بإمكانك أن تطرق منجلك هنا يا دودو كناية عن شهوة النساء.	**205**
كانت فيه رائحة الرياء و النفاق كناية عن الغدر.	**208**
أجهزنا على الطعام بمعاولنا نحفر: شراهة الأكل لشدة الجوع.	**234**
ولجنا صاحبة اللباس الأخضر: كناية عن الصيدلية.	**250**
حركة نشطة لنخاسة الأجساد: فتيات الدعارة و الجنس.	**257**

جعل الخناس يُصادقني: كناية عن الرفيق جورج المختفي.	**258**
استعملت كاميراتي: فتّحت عيوني.	**278**
أضفت في بنات عقلي: أفكاري التى تساورني.	**291**
جرت في عيونهم وديان كناية عن البكاء والألم.	**299**
حتى دق بني الرقص بباب روح كناية عن الفرح	**321**

كما تحيلنا كل هذه الإنزياحات إلى الحقول الدلالية التي اختارها الزيواني لتكون مسرحا لسرده التخييلي ومن أبرز هذه الحقول ما يلي:

4) الحقول الدلالية:

ـ حقل التراجيديا الإنسانية: وما حمله هذا الحقل نت، **ألم ـ صدمة ـ احتياج ـ خيبة**، مثله الزيواني في عبارة "**عزف Gيثار الصدفة لسمفونية الزمن العابث** حيث جمعت الصدفة الخيبتين، خيبة المخرج "جاك بلوز" الذي تحطمت أحلامه على أعتاب مهرجان "كان" الدولي، وخيبة "مامادو" الذي فشل في الوصول إلى الفردوس.

ـ حقل الحيف والموت: تجسد في خوف عائلات الشباب الحراق على أبنائهم، والخوف الداخلي لهؤلاء الشباب من هول الرحلة مثل: "يـاأمي: قررت الهجرة لـ.... قيل إكمال (بلاد البيض...) قذفت صرخة، لم اسمع منها مثلها قط.

إلا مرة واحدة في حياتي، كان ذلك تدقيقا – يوم بلغها نعي وفاة والدي بمنحدر الحي"[1] –جلجلتها – صداحها – تاهت – ياويلي – البكاء – المصيبة الكبرى – التعاج – زهير نشيحها –ابواق عويلها .....، كما تجسدت معاني الموت في : الهلاك – الفناء – المجهول – الرجوع الصعب – قضا – أعتاب الموت – حافة الانهيار– سكين القتل – وكذا تصوير الزيواني للموت في المقطع التالي : " حدث هيعٌ كبير بين الرفاق ليكاماراد لسماع النبأ، البعض منهم قال :

إنها النهاية؟؟

البعض الأخر قال:

1 – الصديق حاج أحمد – كاماراد رفيق الحيف والضياع ص74.

إنها القيامة؟؟ وأن الموت سيدركنا هنا بلاعناية؟؟

الكثير من الرفاق غرق في جحر من البكاء؟؟ بعدها قال الملثم لأليكس في لهجة حادة:

أول إجراء احترازي نقوم به. أن تجمع جالونات الماء على رفاقك وتضمها لقربتي الماء مع جالون سعه عشرين لتر.....قضينا يومين، نقتصد في الماء ونتقشف في الزاد القليل ... في اليوم الثالث من محنتنا، نفذت المؤونة ونفذ معها الماء أصبحنا على حافة الموت حق ؟...

مازلنا نسير والجوع يعضنا والعطش يقرصنا ...[1]

- **حقل الطبيعة :**

وقد احتل هذا الحقل حيزا كبيرا إلى كبيرا، إلى جانب حقل الفقر الموت، فقد بدأ الزيواني بوصف طبيعة " نيامي " وخاصة القمامة كأنها إرث عائلي كما قال الروائي " مقبرة الخردة ...ورثنا هذه الماكن كما تورث التركة تماما... لا سطو لأحد منا على جاره ، اتبدع لها الأباء حدودا فاصلة ، تراضوا على قسمتها وسجلوها في رسم محفوظ "[2] .وكذا- **نهر النيجر – شجرة المانها –شجرة الموز والأناناس –الغابات الاستوائية –الصحراء –القفار – الهيماء –صحاري الموت –الهوماء –المهلكة –جبال الهقار –البحيرات –واحات النخيل – غابات عين الصفراء ومغنية وتلمسان** ....، وتجدر الإشارة إلى أن الصحراء احتلت الحيز الوسع من حقل الطبيعة عاكسة بذلك حب الزيواني إلى أرضه وجنوبه " أدرار" فأراد افمعان في وصف لبيئة الصحراوية. ومثال ذلك قوله :" ألم يقل لنا إن الماء عزيز في هذا القفار "[3] فتدخل المناطق الصحراوية بسحرها الخلاب والمناطق الشمالية للجزائر بغطائها الأخضر الساحر أعطى الرواية " كاماراد" بعد اجماليا تناغمت فيه كل البيئات والأماكن والطقوس.

وغير بعيد عن سحر الطبيعة يأتي سحر التناقص والرمز والأسطورة كما سنوضح في العناصر الموالي.

5) التناص:

التناص في اللغة " مصدر من الفعل تناص أو تناقص بفك التضعيف ويعني ازدحم، نقول تناص الناس أي ازدحموا .وهو فعل مزيد معنى الزيادة فيه هو المشاركة والازدحام

1 – الصديق حاج أحمد – الرجع نفسه الصفحات 143, 146, 149.

2 – الصديق حاج أحمد – كاماراد –ص43

3 – المرجع نفسه ص139.

أيضا يتضمن معنى المشاركة وهذا يشير إلى وجود توافق بين المعنى المهعجمي والمعنى الصرفي للكلمة ،ويمهد الاستخدام الاصطلاحي الذي يتضمن المشاركة أيضا "[1]

أما في الاصطلاح فهو " العلاقة التي تربط نصا أدبيا بنص آخر واستحضار نص أدبي داخل آخر وهو مترتبط بوجود علاقات بين النصوص المختلفة ،ويقوم على فكرة عدم وجود نص بدأ من العدم فكل نص موجود هو معتمد في وجوده على نص أخر إما في الفكرة وإما في استخدام التراكيب والألفاظ"[2] فزمن السرقات الأدبية قد ولى ،وشرع الباب للتناص وعلائقية النصوص ،فملكة الكتابة لا تكتمل كما قال ابن خلدون إلا يكثره المعدوء ،ثم استغلال هذه الرواسب والمكونات من الكلمات والمعاني لإنتاج نص جديد ،لذا عمد الروائي إلى عجن سرده بمخزون هائل من المعاني والعبارات والدلالات العربية الفضيحة والشعبية وكذا ماورد في كتب التاريخ وخرائط الجغرافيا ،بالإضافة إلى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بهم جميعا استعان على رفع راية متخيله السرد فوق المعالي، كاشفا عن زاده العلمي ونشأته في بيئة محافظة تتدارس القرآن وعلوم اللغة منذ نعومة أظافرها، ومن أمثلته ما يلي :

أ-الأخــذ والاقـتبـاس مـن الـقـرآن والـسنــة

العبـــــــــارات	الصفحة
– طلب قهوة خفيفة...قام بغرائض الغليون وسننة المؤكدة	**17**
– دخل القبر وعاش البوزخ فيه جاءه البعث شاهد النفخ في الصور حضر الحشر مر على الصراط .... أخيرا خظر الرحبة الكبرى	**29**
– فطفق ما ماءويسرد حكايته	**32**
– أختي تغسل الأواني باتراب والماء ،لاصابون لدينا ولاهم يحزنزن	**144**

1 – ياراحسن –مفهوم التناص في اللغة العربية –https=//mawd003.comاخر تحديث 11:08 أغسطس 2022

2 – المرجع نفسه .

– بأطفالهم وإناالله وإنا إليه راجعون	**121**
– رهط النين ليس ببعيد عنهم	**142**
– الحرب تبقي ولا تذر، آه عفوا؟؟ تذر ولا تبقي ...	**144**
– إخواتنا أهل عيسى ،هو الأخرون صلوا للرب وقرؤوا القداس	**144**
– ومنا آخرون وجلون	**173**
– وكفى الله المؤمنين القتال	**209**
– مكان سحيق	**211**
– إبليس لعنه الله له مودة قريبة مع الأمهات	**229**
– تقييهم شر ذلك الأخطبوط	//
– والصلاة على النبي	**251**
– الحمدلله الذي نجى موسى وغرق فرعون	**260**
– إن الله يخلق من الشبه أربعين	**281**
– دخلنا ثانية التمسنا مكانا قصياعن الرفاق	**314**
– بدأ خلق الله من الطوارق واهل البلد وشعب الله المختار	**296**

ب–التناص من الموروث العربي والشعبي

العبارات	الصفحة
–دبروا أمرهم بليل	**07**
–لم يمض على حلاقة ذقنه ساعة زمنية عن أكثر تقدير	**18**
–تبحث عن أذنك الشمال بيمينك يا ابن بوريما وهي قريبة من يسراك	**28**
–يقال على سبيا الذكر لا الحصر –وهَلُمَّ جرّا	**35**

–لكنه صاحب دهاء وبداهة ... يشخص الشواهد المسموعة	**41**
–لكل حرقة ألغازها، التي لا يعلم طرائقها إلّا أهلها	**42**
–وجهرها له بدعوة الشر لأمارتها عندنا اخراج الأم ثديها لابنها	**53**
–أنني انتسم فضلات لحمها رغما عنك	**61**
–كما خلق الفراق والوداع، جعل إلى جانبها الأمل واللّقاء	**102**
–الطابور المجتمع من الركاب مع رياشهم	**107**
–سيدي كثير الرماد	**115**
–أمّا الثكلى والهلكى فلا أحب أنك تعرف أنهما للشيوخ والنساء	**117**
–ستبدأ معركة حامية الوطيس يعد قليل	**122**
–عشنا حربين أهليتين؟ أنن على الأخضر واليابس	**133**
–يفرّ... بلحمه مع ما خف وزنه وغلا ثمنه من الألماس	**133**
–الحرب قد وضعت أوزارها ببلدنا	**134**
–من كان حملا للنوائب.. ومنا آخرون وجلون	**144**
–أفرغنا قرب المدينة ولاذ بالفرار	**150**
–بين رحى أضراس الرفاق الجوعى	**150**
–من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه	**161**
–كل تأخيرة فيها خيرة	**166**

-لابد للغنم من راع	**174**
-أبقاها الله لنا ذخرا وفخرا	**176**
-سيدة المقام هنا بلا ضرة	**180**
-ما جعلني أتفرس في فمها	**184**
-تجعلك تطمر دراهمك في مكان سحيق	**209**
-نشد على يده في هذا التصرف	**214**
-صوت المطارق مع بكاء المسامير	**228**
-أم تنزح عليه ويتركها ثكلى بعدهُ	**231**
-هو الآن كالمقطوع من الشجرة	//
-شكوت لها قصر ذات يدي	**235**
-متثاقل الخطى رجع بخقي حنين	**245**
-للبيت ربٌّ يحميه قال ساكو	**247**
-إن يدي في شكوة اللبن إن لم تأت بالزبدة فلا محالة تأتي بالحليب	**255**
-يداه أوكتا وفوه نفخ...	**263**
-ردم ملح عشرة السنين	**267**
-ان ظهر لي منه هذا الزيف الأخير	**276**
-نكران ملح السنين... يبيعك ببصلة حمراء كبصلة ضفة نهرنا	**278**

-الذي باعك ب(Gمورو) بعه بقشوره	**279**
-وصغنا فيه ثقفتنا في خلوات الموت... كيف لا نتق به في برّ الأمان	**280**
-تربت يداك أخ الكاماراد	**315**

ج-التناص من كتب التاريخ والجغرافيا

العبارات	الصفحة
-رغم وجود اليورانيوم بمدينة (أَزْليتْ) شمال البلاد	**36**
-أخذنا في زيارة استكشافية لجزيرة (Gورية) التي قال عنها بأنها كانت حضن من قلاع تجارة العبيد نحو أمريكا... متحف العبودية بذكار والنصب التذكاري للنهضة الإفريقية...	**78**
-سوق الشعوذة المسمى سوقّ أكوداسيّوا" عاصمة (الطوGو)	**102**
-انعطفنا غربا عن الطريق... المتجه شمالا نحو مدينة المنيعة من محافظة غرداية، وصلنا وسط مدينة عين صالح	**301**
-قصر " تاعراب"... لكل قصر قصة طينية محصنة بأبراج وأسوار بها ضريح أبيض لولي صالح عندهم.	**304**
زاوية كنتة... أولاد السي حمو بلحاج... قصر مكيد... قصور " تامستْ"... قصر أغيلْ... قصر يا عمَرْ	**205**
-روما ليكامراد : أدرار" ... من نيامي حتى روما حوالي (3333 كلم) هذا الذي يهمني...	**302**

-اجتزنا مدنا كثيرة خلال الطريق، متها بمكمن بن عمار-لعريشة-سبدو- لتصل أخيرا مدينة تلمسان العظيمة.	333

المبحث الثاني: توظيف الموروث الشعبي والثقافي

أفصحت كاماراد رفيق الحيف والضياع لصاحبها الصديق حاج أحمد عن لآلئ ودرر من المكنوز الثقافي، والإرث الشعبي للمجتمع الافريقي عموما والعربي والإسلامي خصوصاً، وشرعت البابا على مصرعيه امام ما تزخر به إفريقيا من موروث ديني وشعبي لا يمكن بأي حال من الأحوال حصره أو رصده، قد حملت الرواية في طياتها موروث يربط كل الدول الافريقية، وهذا الامتداد التاريخي هو الرابط الأقوى الذي يحتم علينا الالتفات إلى قضايا القارة السمراء شئنا أم أبينا ، وأن هذا البعد التاريخي والعقائدي سيظل همزة الوصل بيننا وبين اخواننا من الأفارقة المسحوقين، والغارقين في غياهب الجب رغم الثروات والخيرات التي تزخر بها بلدانهم، لذا عمل الزيواني إلى تسليط الضوء على الطقوس والسلوكات ، وقد سئل عن مبررات توظيف هذه الطقوس والعادات فأجاب قائلا : المجتمع الافريقي والزنجي مجتمع طقوسي اسطوري عجائبي بامتياز ولذلك فمن غير المعقول ان تكتب رواية عن إفريقيا خالية من سببية التمائم والأسطرة أو الرقص"[1] لذا بدأت دراستنا بأبرز هذه الطقوس وهو الموروث الديني.

المطلب الأول: الموروث الديني والشعبي والثقافي

1 – الروائي الصديق حاج أحمد في حديث الجريدة الوطن https://alwatan.com ماي2016-12:32

إن الذين عمود كلّ أمة سواء كانت على هداية أو ظلال نور أو ظلام. فلا تخلو أمة أو حضارة من طقوس دينية تعد المرجع للضمير الفردي والجمعي لهذه الأمة، لذا عمد الزيواني لتوظيف الموروث الديني كثيرا ليبرز الترابط بين الدول الافريقية، فالقارئ الأحداث الرواية يقف على العديد من الشعائر الدينية والطقوس الموجودة في ثنايا السرد ومن أبرزها:

1- أداء الصلوات:

تعد الصلاة من أكثر الشعائر الواردة داخل المتن الروائي، إذ أن أهل النيجر يقدسون الصلاة، حيث أن بنية مجتمعهم وتركيبته تدفعهم إلى احترام تعاليم الدين الإسلامي، ومن أمثلة ذلك تصرف التاجر صاحب "مقهى النت" حين أغلق المحل وقت الصلاة، رغم أنه أخذ أموال وهو يعرف أن النت ضعيف وأن ما مادوا ورفيقه لم يستفيد كثيرا من الوقت، فقال ما مادوا:" تفضله بإجابة مجانية دون طلب، ما كان سوى تبرير لسرقة مهذبة كما ذكر الرفيق دائما، رغم حرصه على الصلاة الجماعية وغلقه لحانوته وقت قيامها"[1]

وكذا تأكيد الروائي على هذه الشعيرة المقدسة فيقول:

"ساكوكان يتحمل الانضباط في أداء الصلاة أكثر مني ومن ادريسو، عيبه أن تدينه كانت فيه رائحة الرياء والنفاق... يصلي أحيانا من أجل التظاهر .لا سيما عندما نكون مع الغرباء... أنا وابن موطاري لم نكونا منافقين، إن هدانا الله نصلي، وإن غلبنا الشيطان لانصلي ونستغفر الله في لحظات التوبة والتذكر"[2] ويضيف الزيواني في حديثه عن "مامادو" و "إدريسو" النيجيريان الجنسية يقول:" في صباح اليوم الموالي نهضنا على همهمة الرفاق، الشمس لازالت تنشر أشعتها في الأفق البعيد عروق الرمال تشكل التضاريس المكانية من كان ساهيا، تذكر الصلاة من أمتنا وصلى "[3] ثم يواصل الزيواني مدح المجتمع النجيري:" رفاق نيجيريون، البعض منهم ملتزمون بالصلاة ، يحملون في أيديهم، مسبحات ،يخرجون بها حتى للعمل.... تقواهم وخشيتهم لله، أفضل من ساكو المنافق"[4]، كما يشير الزيواني إلى تباين الدول الافريقية في ممارسة شعيرة الصلاة ويصفهم بالتحرر والتمرء كأهل الكاميرون

1 – الصديق حاج أحمد –كاماراد – ص 50.

2 – الصديق حاج أحمد كاماراد – ص 208 – 209

3 – الصديق حاج أحمد كاماراد ، ص 145.

4 – المرجع نفسه، ص 268.

وساحل العاج والماليين وغيرهم . فيقول ، على لسان "كايطا" : أنتم النيجريون محافظون ، غير متحررين... حتى نحن الماليين،فينا المحافظ كذلك لكن المتمردين مثلي كثر"... [1]، ومنه نلمس أن إصرار الزيواني على إبراز شعيرة الصلاة في المجتمع الإفريقي ما هو إلى تأكيد.

على الامتداد الروحي والديني بين الشعوب الافريقية، ومحاولة تلميع صورة هذا المجتمع لدى القارئ الذي يعتقد أن كل ما هو خارج عن الملة، وكذا الإشارة إلى أهمية الصلاة في حياتنا وضرورة التمسك بأدائها لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي عماد الدين، كما جاء في قوله تعالى:" فويلٌ لِلْمُصلين الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ"[2]، حيث توعد المولى عز وجل الساهي عن الصلاة بالويل فما بالك بالذي لايصل.

2- خاصية الدعاء والتبرك:

تعد خاصية الدعاء والتبرك والصلاة على النبي من الركائن التي لها خلفية دينية داخل المجتمع الافريقي وحتى الجزائري لذا خصها" الزيواني "بحضور واسع داخل الرواية، فتجده يكررعبارة" الصلاة على النبي" ، وكذا "الله غالب" في العديد من مواضع سرده ليصور بذلك ارتباط المجتمع بالسنة النبوية الشريفة ، وأنها مرجيعية أساسية في بناء المجتمع الافريقي والجزائري والاسلامي عموما، وقد حاولنا رصد ذلك في الجدول التالي :

الدعاء أو التبرك	معانيها	الصفحة
-رفيقنا عسمانو كان غير مكترث بالقضية البتة أفضى لنا في مجلس الأمة وكررها...انه رمى المشقة بعد القسم المغلظة لأمه "حليماتو" وجهرها له بدعوة الشر ...إن هو كرر تلك الأحلام ثانية.....	- تخلي عسمانو عن حلمه في الهجرة للفردوس بسبب دعوة والدته ،وخوفه من قسمها، في إشارة الى تقديس الكلام إذا خالطته دعوة أو قسم .	53

1- المرجع نفسه، ص 270.

2 - القرآن الكريم – سورة الماعون, الآية 4 و5.

- لم يفاوض عمي بامبا كثيرا، قال له في استعلاء محشو بوقار .(أعطيك 170000 فرنك لف والصلاة على النبي ..... قال له في كلام قاطع لاردة بعده وهو يبسط يد المصافحة لعقدة البيعة مع عمي بامبا 175000فرنك لفا وبالنبي صليت.....	وراسة عبارة الصلاة على النبي ووقعها في القلوب، وتيسيرها لكل ما هو صعب.	85
عبارة " الله غالب" - من خيار الخلاص :الله غالب - المفتاح السحري للخلاص الله غالب - المجد والجلال لك يا عبارة الله غالب - عبارة الخلاص المشهورة الله غالب - قذفتها مثلثة كالبرق الذي يسبق الرعد ، الله غالب ، الله غالب ، الله غالب - "الله غالب" ههه" الله غالب" قال لي - أفحمني بمغناطيس "الله غالب" - رشاش خلاصة " الله غالب"	لقلة الحيلة ، واسكات وإفحام المتكلم و هزيمته ،في اسقاط الزيواني على وقع هده العبارة في المجتمع الجزائري ، في الخلاص والمنقد من كل المحن حتى أنها أصبت تقال في محلها وفي غير محلها ، المهم أنها مفتاح خلاص و إنقاد صاحبها وقائلها.	53 58 71 71 75 83 87 87
- أخرج نبادق خلاصي : الله غالب		101
- ما صرفت به ، أن هذا الأخير كتم صوت نقاله ولها عنه و"الصلاة على النبي"	فصل الخطاب بعبارة المقدسة الصلاة على النبي	258

- شكرناه بالأطنان هذه المرة وليس بالقناطير	الاستنجاد بعبارات الشكر الكثير في المواقف الصعبة.	258
- الحمد لله الذي نجى موسى وغرق فرعون	عبارة الحمد لله والاستشهاد بنجاة موسى رغم خوفه لأنه تمسك بالله وغرق فرعون رغم قوته لبعده وكفره بالله	260

فباستخدام كل هذه العبارات يكون الزيواني قد أغرق وأمعن النظر في المجتمع الافريقي وأسقط ذلك على مجتمعنا كون أنهذه العبارات هي السائدة في كلامنا وسر خلاصنا في الأوقات الصعبة فهو بذلك نقل صورة حقيقية عن المجتمع المسلم. كما تطرق إلى بعض التبريكات في الديانات الأخرى كالمسيحية حيث قال:

العبارات	معانيها	الصفحة
- أشار بيده إلى الصليب في رقبته - كل شيء يهون من أجل تحقيق حلمي سأعلق الصليب في رقبتي وألبس عباءة اليسوع من أجل خداع رجال الأمن أني مالياني مسيحي - اخواننا أهل الصليب .... صلوا للرب كذلك - أشكرك عميقا كلوليبالي سميفي مالي براو صليبي.	أشار الزيواني أنه : كما أن الصلاة والدعاء شعار المسلمين فإن الصليب والتثليث شعار المسيحيين في إشارة إلى تعايش الديانات ، وأن الامساك بالصليب والتبرك به خلاص لأصحابه حسب اعتقادهم ومعتقداتهم ، وكل هدا انعكاس للواقع الافريقي	289 191 145 341

ورغم أن الزيواني أشار إلى تبريكات الصليب وخلاصه لأصحابه وأتباعه بزعمهم، الا أنه وقف على حقيقة مرة ومرعبة مفادها أن المهاجر قد يضطر إلى اخفاء ديانته والتظاهر بالمسيحية لكي ينجوا، كما أورد الزيواني في قوله: " أني ماليالي مسيحي كما في جوازي ....في عميقي سأبقى نيجيريا مسلما وما يضرني ذلك ---- استدركت بعدها نفسي، بما يستشهد به الملعون دائما : الضرورة تبيح المحظورة... لولم تقبل بهذا الخيار الحرج... ستبقى هنا أو يعترض رجال الأمن طريقك نحو فرد وسك المنثود بأول نقطة تفتيش، لن تذهب بعيدا..."[1]

- وفي عبارة أخرى لهذا الوضع الخطير يقول الكاتب على لسان مامادوا:" وداعاً "مامادوا" باي باي "دودو" تحياتي "ماحامادو" سأعود لكم بعد وصولي حيا- سالما - عند آخر نقطة من التراب الجزائري"...[2]
- وقال أيضا: " بعد دفن عميق لجوازتنا الأصلية من تلافيفنا الداخلية جدا.. وكذا قبر إسلامنا ومامادويتنا و إدريسيتنا معنويا في طمر سحيق من ذاكرتنا .. "[3].
- وفي كل هذا تلميح وتصريح لحال المغترب عن وطنه الذي يضطر إلى التنازل عن أغلى الأشياء مقابل النجاة أو العبور أو البقاء أو الكسب المادي والمعنوي.

3- الإيمان بالتمائم والحروز:

إن استعمال التمائم والحروز من المعتقدات الراسخة لدى المجتمع الأفريقي وهذا مالم يغفل عنه الزيواني. في روايته، حيث استحضر دور التمائم والحروز في ثقافة الشعب الإفريقي وعلاقتها بموروثهم الديني والخرافي، فهي تنتشر في أوساطهم انتشار النار في الهشيم، ومن أمثلة ذلك ما رصدناه في الجدول أدناه:

التمائم والحروز	دلالاتها	الصفحة
- تميمة Gونكي	-" مصنوعة على شكل حجاب حديدي	

1 - الصديق حاج احمد -كاماراد -ص191.

2 - المرجع نفسه ص192

3 - المرجع نفسه ، ص 293.

	مربع صغير ورقيق، لم أشأ أن أسأله كثيرا بما في داخلها... قال لي ذات يوم بامتعاض شديد بعد طول فضول مني.... إن بها عقاقير مسحوق من رؤوس النسور، التماسيح، البوم وعقاقير أخرى ، كان قد اشترى ذلك الحصى ... من سوق الشعوذة ... كان لا يعلقها في رقبته الا أثناء سفره ، يرجو بها الحفظ وتسهيل الأمور وأكد نجاحتها في أكثر من موقف ....وأن فعالية التميمة تكمن في الالتفات إليها و عضها بأسنان الأنياب ... عندها تفرج الغمة بشكل سحري..."	102
	– وقد تعلق مامادوا بهذه التميمة واعتبرها خلاصه وذكرها في كذا موضع مثل : " تكتمي على تميمتي (Gونكي) التي قد أوظفها في أي لحظة طارئة "	250
	– " تذكرت تميمة (Gونكي) وأنقذتنا هذه الأخيرة من الموت في الصحراء الخالية"	251 342
	– " ومعي أيضا خلاصي (Gونكي)"	

- تمائم أنباء الطوارق	- يقول " مامادو" و أصدقاؤه في رقابهم تمائم جلدية حمراء مربوطة بخيط مفتول ، رصى الى جانبها في ذلك التنظيم مسمار حديدي ، وصره قماش مشدودة فيها شيء ما .... قال لنا ساكودون سؤال منا إنها طقوس الطوارق ، يستعملونها لأبنائهم بغية صرف عين الحسود ... زاد على كلامه أليكس ...بأن في (كوت ديفوار) كذلك هناك اعتقاد شائع بهذا الطقس ، لاسيما في القرى النائية (يؤمنون بأسطرة الحديد وطرده للأرواح الشريرة)".	159
- حروز العين والتحصين	- ورد على لسان مامادو كذلك : " قاربهم طويل ... مشدودا بحبل في وتر مسمر على حافة النهر ، مصبوغ بالأخضر المرقش بالأحمر و الأسود قال لي إن جدته لأمه أخبرته (إن ذلك للحفظ من العين وتحصين القارب)"	90

- تحصين البيت	- قول مامادوا: " العلامة التي كانت ترسمها أمي لراحة اليد ، بطين النهى على باب كوخنا لجهة الخارج ، تضع وسطها بيضة محدجة مرقشة بنقاط سود وحمر ... لما كبرت عرفت أنها تستعمل لتحصين البيت من العين .	103

ومن خلال أمثلة التمائم والحروز يتضح مدى تعلق المجتمع الإفريقي بيهم ، وكيف أنهم يؤمنون بسحر وجدوى هذه التمائم، حيث أن مامادو وهو الشخصية المعبرة عن عمق المجتمع الافريقي يتبرك بتميمته ، و يعتقد أن سبب خبيته هو انفلات (Gونكي) منه حيث قال : " لن أنسى تلك اللحظات والله .. وأنا أتسلق السياج الأول في منتصفه ، أكون قد تجاوزت الأربعة أمتار، خلال فترة التفاتي لتميمتي (Gونكي) أحسست بانصرام خيط مفتول من رقبتي ، جراء تدلي هذا الأخير ومصادفته مع سلك ناتئ أمامه، اللحظة ذاتها شعرت بقبضة يد تمسك جاكيتي ..... تاهت عيني في تلك الأضواء الكاشفة بين تميمتي (Gونكي) وهي تهوى أسفل السلك جهة الضفة الأخرى ورؤيتي وجه الجندي المغربي القابض علي .... ضاعت مُخلصتي ووصفه أمي من تركة أبي وبذلك صنعت معها أيضا .. " ، فرغم أن مامادو مسلم ومصلي إلا أنه يؤمن بخرافات وخزعبلات السحر والشعوذة التي تعد سمة أساسية من سمات المجتمع الإفريقي.

المطلب الثاني: الموروث الاجتماعي والثقافي

كان ولايزال الحديث عن الموروث الشعبي والاجتماعي موسوم بسمة العادات والتقاليد، فالملبس والمأكل والمشرب ليست مجرد حاجيات طبيعية بيولوجية للإنسان، وإنما تعد هذه الممارسات تصويرا وتمثيلاً للهوية الجمعية. وتدوينا لإرث الآباء والأجداد في حله اللباس والزينة وطريقة التفكير ونمط المعيشة، لذا اختفى " الزيواني" في روايته لهذا الموروث ونقله في أبهى حله ليغوص بالقارئ إلى أدغال القارة المنسية، وينفض الغبار عن أصالتها

وعراقتها وتنوع تراثها الزاخر بكل أشكال الألوان والزينة والطرب، وهذا جزء هما أوردة الروائي في روايته:

- الصداقة :

وتعد من أبرز الروابط التي ركز عليها " الزيواني "حيث أشاد بالرابط القوي الذي جمع الاصدقاء: "مامادو" و "عسمانو" وادريسو" و "غاريكو" و "ساكو" رفقاء مجلس "فضا"، حيثا قال :" أخبرته بأنه خرج من العصر المجلس "فضا" عند رفيقيه "عُسمانو" وغاريكو" .... وجد القوم متحلقين بالعائد يشربون الشاي.. يحكي لهم الغائب ....غرائب رفيقهم القديم الماكر" شاكو" بباريس ليكاماراد (تمنراست)...."[1] ، كما تجسد هذا الرابط في شخصية" اليكس" الناطق الرسمي باسم ليكاماراد في طريق الحيف، والمعاني النبيلة التي تتمتع بها هذا القائد وحرسه على رفيقه الأخرس طيلة الرحلة: "حذر اليكس رفيقه كادي من معية قهقهته ... لأن الليل سماع"[2] ، ومن أجمل صور الصداقة التى جسدتها الرواية قول مامادو: " فتشت في كل الوجوه التائهة، لم أعثر على رفيق عمري ... قلت لنفسي (أن يفوز رفيقك الوفي بالفردوس كانك فزت به [3]...

- العمل والتسول:

إن ما يميز كذلك المجتمع الافريقي العمل الشاق وتحمل الصعاب، وكذا التسول وكسب المال دون جهد، وقد ركز الروائي على هذين السمتين في متن روايته ليبرز جانبا من حياة الشعب الافريقي حيث قال عن العمل :أن مامادو قد ورت حرفة بيع أعواد (Gورو) عن أبيه وجده ورغم أنها لا تكسبه كثيرا إلا ان ظل متمسكا بها لكونها إرث عائلي، كما ورث ساكو مهنة منبشر القمامة عن آبائه، وكان له حيز معروف فيها، ليصور لنا الزيواني بعض الأعمال التي امتهنها الرفقاء اثناء رحلة الحيق والضياع كقوله: الرفيق كايط ذهب إلى عمله ، لا يعود الامع العصر، الكاماراديون الآخرون ، الذين كانوا معنا بغرف البيت المتفرقة، بدورهم في أعمالهم "[4]

1 – الصديق حاج احمد كاماراد – ص 28.

2 – المرجع نفسه – ص 341.

3 – المرجع نفسه – ص 345.

4 – الصديق حاج أحمد – كاماراد – ص209.

- خرجنا من الحي، النعال الخارجة على الأرض، ترسم خطوات مستعجلة للعمل فجر هذا اليوم ، آثار الأقدام ...."[1]
- توقفنا عند مدخل ورشة البناء ... هو لا يحب أن يشغل من مكثوا مدة كبيرة بالحي، لأنهم في البداية يشتغلون بثمن معقول، بعدها يشترطون في الأسعار ويتحلبون .. كما قال، لذلك كلما شغل جماعة من الوافدين الجدد مدة يطلقها ويبحث عن أخرى ..."[2]

ومن خلال تصوير مظاهر العمل يبين الزيواني استغلال المقاولين.

وارباب الأعمال والورشات لهذه الفئة المغلوب على أمرها أمة ليكاماراد الزاحفة نحو الفردوس الموعود، كما يظهر جانب التسول لديهم فيقول:

- "أنت محظوظ يا دودو شفع فيك جدك من التسول "[3] فكأن التسول هو ارث عائلي كذلك، فمامادو ورث حرفة بيع أعواد(Gورو) عن جده، وغيره من الأفارقة ورثوا مهنة التسول عن أجدادهم ، ويضيف الروائي:
- "الشيوخ والنساء والأطفال يكونون قد انزرعوا في طرقات وشوارع المدينة بطاساتهم يتسولون"[4]
- "بحسب ما رأيت بالأمس من تعداد القوم ، بقي كايط وأولئك الشحاتون ... لاشك أنهم الآن في طوافهم الاخير بممرات المدينة.."[5] لتأكد الرواية أن بعض الأفارقة من الدول المجاورة كالنيجر ومالي يأتون إلى الجنوب الجزائري ليس طمعا في الوصول إلى الضفة الأخرى ، وإنما البقاء والانتشار في المدة والقرى الجنوبية لأجل التسول وامتهان هذه الحرفة الخسيسة ومنهم من يزحق إلى الشمال الجزائري لأجل هذا الغرض، فيتعرضون

1 – المرجع نفسه – ص211.

2 – المرجع نفسه –ص226.

3 – الصديق حاج أحمد – كاماراد – ص 59.

4 – المرجع نفسه – ص209.

5 – المرجع نفسه – ص 217.

للإهانات و للمضايقات هم في غنى عنها لولزموا أوطانهم كما أنهم يشكلون عبئاً على الولاية التي يحلون بها، ليعرض الروائي مشكلة اخرى من مشاكل الهجرة الغير شرعية.

- **الوشم:**

لقد وظف "الزيواني" الوشم " كونه مظهرا من مظاهر الزينة لدى الأفارقة، فهو جزء لا يتجزأ من ثقافتهم يتميزون عن بعضهم ولكل قبيلة منهم وشم خاص تعرف به عن غيرها، وهو ارث من الأجداد حافظو عليه رغم تغيرالزمن، وتبدل الأحوال فقد جاء على لسان" اليكس" : " نحن الأفارقة ولعل ذلك من لطف الله بنا ... أن جعل التشابه (المرفولوجي) في وجوهنا كثيرا، كاليابانيين والكورين والصينيين"[1]، فكأن هذا الوشم جاء لتمييزهم عن غيرهم ، ويقول مامادوا في الوشم " أني أراه الآن أمامي ، وجه شقى رسمت عليه ثلاث وخزات أفقية على الوجنة اليمنى ما يقابلها جهة الشمال، بقدر نبات الاصبع كنت قبل هذا أتحسس نعومتها، و اختلاف موقعها عن باقي ملمس وجهي، الطريق أني كنت أبصرها على بعض وجوه انادادي من قبيلتنا..."[2]تذكرتُ ما رأيته على وجوه أندادي، وما قاله لي والدي قبل موته ، من أن هذه الوخزات هي أمارات منتشرة في عموم بلاد السود، منها الافقية والعمودية والمائلة ، كما منها الوترية والشفعية والثلاثية وأحيانًا الرباعية..."[3] ، فالوشم من المظاهر التي لازمت المجتمعات الإفريقية، فمثلك شكلا من أشكال الزينة لديهم فلا تخلو أجسادهم منه لأنه يعبر عن هويتهم وثقافتهم .

- **القرط:**

يعد القرط هو الآخر مظهرا من مظاهر الزينة لدى النساء الإفريقيات، حيث يعتبر رمزا للعادات والتقاليد القبلية لديهم ، لا يمكن الاستغناء عنه، وله أحجام وأنواع و ألوان عديدة ومختلقة تطبع وتميز نساء كل قبيلة عن الأخرى، وقد وقفت الرواية على هذا المظهر، حيث قال مامادو : " ليس لأمي خصيصة ظاهرة تميزها عن نساء (Gوكلي) ، سوى قرط حديدي دائري مغرز في فتحة منخر أنفها سيف اليمين ، قالت لي عندما كنت صغيرا (إنها عادة من

1 – الصديق حاج أحمد – كاماراد – ص 256.

2 – المرجع نفسه – ص40.

3 – المرجع نفسه – ص261.

عوائد نساء قبيلتها – بورورو – التى تقطن نواحي مدينة "كوني"، وإن معظم نساء هذه القبيلة في حينا تخلين عنه، وبقيت أنوفهن مثقوبة بشكل منفر جدا!!! عدا جارتنا "خديجاتو" والدة رفيقي إدريسو، التي الم يغرز في خيشومها أصلا، لذلك آثرت أمي أن تبقي هذا الأخير[1] بإلحاح شديد من والدي في حياته ، وتركته بعد وفاته بدل ذلك الشكل الدميم من وجوه بعض الجارات، بعد نزعه"

وفي موضع آخر ذكر الزيواني واصفا قرط(سلاماتو) قال : دق الباب الخشبي ، خرجت(سلاماتو) والدة (مامادو) بقرطها المميز ، المغرز في أنفها ، كانت مشيتها ترقص من الفرح برجوع ابنها[2]" ليمثل بذلك القرط جانبا مهما من جوانب الهوية الافريقية، يلعب دورًا رائداً في تجسيد زينة النساء الإفريقيان وما يميزهن عن غيرهن .

- **اللباس:**

لقد ركز "الزيواني" على لباس الطوارق من المهربين والعارفين بدروب الصحراء ومسالكها الواعرة كما وصف لباس المغلوب عليهم من الشباب طالبي الهجرة والالتحاق بجنة الخلد ، فأبرز من خلال هذه الألبسة جانبا من مظاهر التراث لدى سكان الصحراء والأفارقة عموماً حيث قال: "كانوا يضعون على النصف السفلي من وجوههم لثاما حتى إذا ما أرادوا أن يشربوا، يأكلوا، يرفعونه لأعلى إزاء منتصف أرنبة أنفهم ثم يعيدونه بكل وقار"[3]

"عيناه لامعتان تسكنان سردابا عميقا، يلبس عباءة باردة الخضرة من نوع البازات الممتاز، المسمى في معاجم أهل إفريقيا بمصطلح (Gانيليا)"[4] ،كما ترتدي النساء في إفريقيا لباسا مكشوفا ومزركشا بالألوان الفاقعة، أما. نساء الطوارق فترتدين " التسغنس"كما سبف الإشارة، لذلك أما الشباب الكامارادي فهو يرتدي الملابس الداكنة من "البالة"، وكذا سرول "الجينز" كما قال مامادو : "اشتريت سروالين مستعملين من الجينز الأزرق البارد كما قال لي "ادريسو" ووجدته صحيحا انها تصبر على وسخ الطريق أثناء السفر وتستر الأوساخ ما استطاعت إلى ذلك سبيلا"[5]

1 – الصديق حاج أحمد –كاماراد – ص 40.

2 – المرجع نفسه – ص 27.

3 – الصديق حاج أحمد – كاماراد – ص 123.

4 – المرجع نفسه – ص129.

5 – المرجع نفسه – ص95.

ويواصل مامادو في وصف اللباس والثياب فيقول: شللت

الثياب بالماء – لازال الوسخ يعانقها ، لكني اكتفيت بما خرج وأبقيت على الباقي.." ليصور بذلك الزيواني على لسان مامادوا معاناة هؤلاء الشباب المغامر مع الوسخ وقلة النظافة مما يعرضهم لأمراض مختلفة تؤذيهم وتؤذي غيرهم.

- **الأكل والشرب:**

إن الإنسان لا يمكنه العيش من دون أكل أو شرب فهما يعدان من أهم الأشياء على الاطلاق في حياة الانسان اليومية، وأي أمر يتعلق بحياة الإنسان أكيد تستمد جذوره إلى العادات والتقاليد وطقوس في المأكل والمشرب توارثها هي الأخرى الأبناء عن الأجداد، فارتبطت بذلك طريقة إعداد الطعام بتيمة الهوية والانتماء إلى جماعة من الجماعات، وهذا الانتماء يبرز: الفوارق الطبقية والاجتماعية داخل المجتمع، لدى سلط الزيواني الضوء على المأكل والمشرب لكشف المزيد من خبايا التراث الافريقي وصلته بالجزائر ودول الجوار ومن أمثلة الأكل ما يلي :

الأكل	دلالاته	الصفحة
▪ طلبات المخرج السينمائي جاك بلوز :طلب مقبلات مع بطاطس محشو ، شريحة لحم مشوي ، عصير أناناس دوريجيني، مشروب روحي أحمر ...خزر	أكل يدل على الرفاهية والانفتاح على الأكل العصري ، ليبرز الزيواني المفارقة بين الشمال والجنوب البائس	24

يلحظ العين في أنحاء المطعم (طاولته ، كراسيه ، أكوابه ، موسيقاه ،لوحاته) لا إلى التصنيف الرابع من مطاعم شارع الشانزليزيه ...أسر في نفسه	فطلبات المخرج توحي بثقافته المرموقة وعلى هويته المتحضرة وهدوءه في اختيار الطعام وحتى تناوله .	
▪ أوجبة هرا: – وضعت صحن هرا وقدح الماء الطيني برفق على الأرض ، تناولنا وجبتنا الخشنة ها أنا أقولها لك ،سوف لن أعيد (هرا كسرة من مسحوق الذرة المخلط مع حليب بقرتنا بكثولاغير..	طعام ينبؤ بالفقر المدفع للعائلة النيجرية ، اواني من قمامة ساكو موضوعة على الأرض ، ليبرز الزيواني الفرق الشاسع بين حياة الرفاهية وحياة البؤس والحرمان والجوع .	65
▪ كسرة التاGلة : رمز من رموز الثقافية الشعبية الصحراوية التارقية ، والتي تعد جزءا اساسيا من طعام الطوارق ، لذا ذكرها الزيواني في أكثر من موضع : " أمال أليكس الدقيق نحو الصحن ، شكل خروج الدقيق منه شلالا كشلال ذلك السكر...لتهذا الأخير الدقيق قال	أراد " الزيواني " أن يظهر مدى مهارة الطارقي في إعداد كسرة التاGلة فهي وجبته وطعامه أينما حل وارتحل ، حيث علمته الطبيعة القاسية كيف يتأقلم معها لإعداد طعامه في العراء ، لتتجاذبه بذلك أطراف صرع مختلفة بين التمسك بموروثة والتمدن في ظل التطور	137

(لألـيكس) و(إدريسـو) اللـذان كـان يعاونانه إنه سيضح لنا كسرة التاGلة بعدها تـرك الطـارقي العجينـة مكـورة في الصحن "	والإزدهـا الـذي يعيشـه العـالم ، وهـو يحـاول الصـمود كصـمود الصـحراء القاسية	
الأكل الجزائري : - حليـــب غبـــرة ...علامـــة (Lahada)أو (Nespray) ومعها أكياس عجائن معكرونة وأرز . - أرز ، علبة جبن ، قارورة ياغورت - ذلـك العـدد مـن الجـزر والجـبن والياغورت . - قسم الخبـز علينـا بالتسـاوي هكـذا مثلثـات الجـبن ،أمـا اليـاغورت أعطي ليكاماراد الثلاثة قارورة . - قد نتعشى يومين أو ثلاثا بالعجائن ويأتينا بالأرز في اليوم الرابع . - المـرة الأولـى التـي أذوق فيهـا طعامـا سـاخنا مرقـه أحمـر بالطماطم المصبرة...	صـور الزيـواني جانبـا مـن أكـل ليكارمـاراد فـي ورشـات العمـل والمخيمات الجزائرية والتي لا تعد أن تكـون عجـائن وجـبن فـي إشـارة إلـى المعانـاة التـي يعيشـونها ، وأنـه لـيس بمقـدورهم شـراء الأكـل البـاهظ الـثمن وأو حتى التفكير به.	202 215 226 229 272 320
▪ وجبة الأرز : - تفور بمعجـون بـالأرز هـذا الأخيـر أبيض كمـا خلقـه الله...لا محمـرات لا توابـل ، اللحـم غائـب كـان أرز	ركز الزيواني على وجبة الأرز كونها الوجبـة المتاحـة لشـباب الكمـارادي ، رخيســة وســريعة ، ليبــرز بــذلك تضـحية هـؤلاء الشـباب فـي سـبيل	206

متماسكا مع بعضه ... - صب الأرز المعجون.... - بعدها يأتينا ذلك الأرز وقد برد وعاف نفسه - بحسب الرائحة أرزا أيضا - طلبنا أربعة أطباقا أرز ...	تحقيق حلمهم ، يرضون بأزهد الأكل ، المهم ما يسد رمقهم من الجوع ويوفر لهم بعض المال لمواصلة الرحلة .	257 279 320 323
▪ التمر التواتي: يطوفون بحفنات من التمر التواتي الأحمر اليابس ، اشترى كل واحد منا حفنة يد من تمر (تمسو) الأحمر الغامق ، هذا النوع سيدي المخرج ...هو تمر البؤساء في النيجر ومالي، كونه رخيصا ...مقارنة بأنواع التمور التواتية البيضاء...	ذكر الزيواني التمر كونه من أهم الأكلات لدى سكان الصحراء وطذا الطوارق وأهل الجنوب عموما، لفوائده العديدة ، وسهولة حمله وحفظه فهو الزاد الأول في القفار والفيافي	110
▪ عصيدة كوربة كوربة : أثناء تناولنا لعشائنا الأخير جماعيا ، المتمثل في عصيدة (كوربة ،كوربة) كطقس كامارادي معتاد.	أعاد الزيواني التركيز على العقلية الافريقية التي تؤمن بالقصص والخرافات والمرويات ، فهم يعتقدون أن هذا الماء فال خير للوصول إلى الفردوس.	341

▪ أكل لحم القطط والقردة: انهم ينصحوننا بعد حصص التدريب بأكل لحم القطط والقردة والله...مما قاله لنا رئيسهم ذات مرة (أنه يقوي شهوة التسلق ساعة اجتياز الأسلاك حتى عرف عنا بالمداشر المجاورة ... ب (القطاطين) و (المشاشين) نسبة لمصطلحي (لقطوط) (أمشوش) الذي يطلق ... على القطط	يبرز الزيواني من خلال ذكره لهذا الطعام إلى مدى استغلال الناس والانتهازيين إلى هؤلاء الشباب الكامارادي فحتى في آخر نقطة قبل السياج هناك مدربون يدربونهم على القفز مقابل مبالغ مالية وينصحهم بأكل القطط والقردة حتى أنها فقد و أصبحت نادرة في تلك المنطقة ويهمونهم أن الانسان ابن طعامه	349

ومن خلال أمثلة الاكل اللتي أوردها الزيواني في ثنايا السرد نرى أنه قد أكد على نظرية انعكاس العادات والتقاليد على طريقة الأكل ونوعه ، وأنه خاضع للظروف الاجتماعية والنفسية للإنسان كما قالفي مثال آخر له : "يحملون عشاءهم في أكياس بأيديهم لا شيء غير الأرز والعجائن والخبز و الجبن واللبن والياغورت مع الشاي والسكر... لم يحدث مطلقا في تاريخي الكامارادي (بباريس ليكاماراد) أو غيرها من مدن أحلامنا ، أني رأيتُ مُقبلات في أطباق الرفاق ليكاماراد ، بطاطس ، سلاطة ، تفاح أو موز ، قد يحدث ذلك نادرا يكون من إهداء ربّ العمل أو بعض المحسنين، اللحم لم يكن معدوما لكنه كالمطر في الهيماء ... المهم بحسب وفرة المداخيل وزيادتها على الحساب اليومي المفترض لاعمال السفرة شمالاً..." (1)[1]

والحديث عن المأكل يسوقنا للحديث عن المشرب فالمشروب يدل هو الآخر على ثقافة الإنسان وتمسكه بعاداته وتقاليده ومن أشهر المشروبات التي ذكرها الزيواني "الشاي" فهو رمز للإفريقي وجزء لا يتجزأ من يوميات أهل الجنوب والصحراء، وهذه بعض الأمثلة الدالة على المشروبات:

1 – الصديق حاج أحمد كاماراد –حي 2016

- **الشرب:**

- **الشاي:**

إن الشاي بالنسبة للمجتمع الإفريقي ليس مجرد ماء وسكر ونبتة الشاي، بل له قدسية وطقوس. خاصة، وقد أولى الروائي أهمية كبيرة لهذا المشروب، فوصف جلسات الشاي بكثرة في سرده، فهو رمز للضيافة وحسن الاستقبال، فهو الشراب الملكي الدال على التقدير والاحترام، له أواني خاصة وكؤوس خاصة تملؤ وتقدم وفق طقوس متوارثة ابا عن جد وأي اخلال بهذه طقوس يعتبر انتقاضا في حق الضيف أو المجلس، ومن أمثلة شرب الشاي ما يلي :

العبارات	الصفحة
▪ ارى الأخير قد أتم رش الماء على أرضية المجلس... وبالكاد ينهي بسط الحصيرة السعفية على الأرض، وضع صينية الشاي النحاسية المستديرة وسط المفروش ، حيث صفت في تلك الأخيرة فناجين الشاي الزجاجية الشفافة المقلوبة يرقد يبنها كوب كبير... ركن إلى جنبها إبريق حديدي أزرق صدئ لطبخ الشاي، أما السكر و الشاي فقد احتفظ بهما في تعليبها الكارتوني والبلاستيكي....	39-38
▪ حيث اختلطت رائحة الشاي برائحة الشواء	41
▪ ليعيد القائم بطقوس الشاي صبه في الإبريق ثانية قبل إعادة حركة الشلال المفتول في الخلاط.	42
▪ كسرت تخليطة الشاي وهي تخرج مفتولة من خرطوم البراد،.... شربت كأسي ساخنة هذه المرة .	95
▪ اقام السمسار طقوس الشاي بنفسه ، تهت في تذكر جلسة الشاي المائية ب (Gمكلي)	139

▪ احضر الرفاق المضيفون صينية الشاي ، كونا حلقات داخل المرقد، الرفيق الأخرس قام بإعداد طقوس الشاي	313

- مشروب Gورو Gورو

لقد أكد الزيواني أن هذا المشروب تجاوز البعد الثقافي إلى البعد التاريخي، كونه مشروب مرتبط بمعاناة السحناء، حيث قال: "إنه المشروب الروحي لشعب ليكاماراد يا رفيقي ...مشروب Gورو Gورو اخترعه سحناء التمييز العنصري بجنوب إفريقيا قبل خمسين سنة، يصنع من تخمر اللباس المتسخ والجوارب المعكرة .... كما أن هناك مشروبا روحيا آخر نطلق عليه "بيليبيلي"..[1]

فقد وضع هذا المشروب حسب المعتقدات للهروب من الأوضاع المزرية بحثا عن الحرية، ويعكس لنا الشخصية الافريقية والتي يعاني معظم مجتمعاتها من القساوة والتهميش في الغربة، فالكاماردي يعيش الالام داخل الوطن وخارجه فيلجأ إلى هذا المشروب كوسيلة للهروب من الحرمان والواقع المزري أثناء شق رحال الهجرة عله يجد الهوية المفقودة والجنة الموعودة، حيث يقول (مامادو) ورفيقه : " شوينا في زهو عارم والله"[2]، كانت السماء حينذاك مقمرة، النجوم أراها تتراقص لعيني... كنتُ سعيد اجدا في هذه الليلية حقاً ، اللعنة عليك أيها الشقاء....المجد ل(Gورد Gورو)"[3]

- كما لمح الزيواني إلى بعض المشروبات الغازية التي كان يشربها الأفارقة والجزائريين عموما ك "كوكا كولاً "و" وميرندا" ، حيث قال: "طلبنا أربعة أطباق أرز باللحم المطبوخ ، قارورة مشروب "Miranda" أحمر"[4]
- في اشارة إلى عشق الشعب الإفريقي والعربي والجزائري لهذه المشروبات الغازية.

1 - الصديق حاج أحمد - كاماراد - ص 219

2 - المرجع نفسه - ص 22

3 - المرجع نفسه - ص 223

4 - المرجع نفسه - ص 323.

-الغناء والرقص :

إنّ الدارس للموروث الشعبي لأي أمة لا بد له أن يعرج وينعطف جهة الغناء والرقص لأنها يمثلان تاريخا قديما قدم الإنسانية، فقد كان الانسان القديم يعبر عن فرحته بنطق أصوات متجانسة تابعة من قلبه ترافقها حركات للأبدي وقفزات مختلفة، ظل هذا التعبير عن الفرح متوارثا بين الأجيال وأصبح من صميم العادات والتقاليد المعيرة لكل أمة واتخد صورًا وأشكالا مختلفة تتناسب مع طبيعة وضروف الأمة الاجتماعية والدينية والثقافية، ليتحول هذا الموروث الشعبي إلى إبداع وفن متوارث عبر الاجيال، ومرآة عاكسة لثقافة الشعب والأمة.

- **الغناء:**

يعد الغناء إرثًا شعبيا، يسعى كل جيل من الأجيال أن يعبربه عن زمانه وحياته فهو وعاء لحفظ عادات وتقاليد وحياة جيل من الأجيال في تلك الحقبة الزمنية، فيسعى صاحب الأغنية إلى البحث عن كلمات تعبيرا ولاعتم في نفسه، ثم عن واقعه المعاش. هو يُحاكي قضايا أمته عن طريق الكلمات و الغناء لذلك عهد الروائي إلى توظيف هذا الموروث ليظهر من خلاله جانتا من حياة الناس، وكذا جانبا من معاناة وآلام الحراقة، فبدأ بإبراز الجانب الأول: أي أن ما يميز المجتمع الإفريقي في جلساته اليومية وجود الشاي بالإضافة إلى الغناء و الموسيقى، كما قال العامل الفندقي: وجد القوم متحلقين بالعائد ..... يسمعون موسيقى المغنية النيجيرية (قاطي ماريكو) يحكي لهم الغائب.... غرائب رفيقهم القديم[1] « كما ذكر الروائي في روايته أغنية للشاب خالد تتحدث عن الهجرة ووضع الشباب في تلميح منه أن حال الشباب الجزائري لايختلف عن حال هؤلاءالحراقة فكلهم يحلم بالذهاب للضفة الأخرى مميناً النفس بحياة أفضل، وقد عبرت هذه الأغنية التي وظفها الروائي عن هذه المعاني ،فقد قال :"الموسيقى كانت خفيفة إيقاعها عجيب،ماسمعته من كلماتها العربية الدارجة ولم أفهمها في حينها : (المستقبل مسدود....ما أبقى فالدوق حتى نية...الحوت ولا الدود)"[2]،كما واصل الزيواني تأكيده على خاصية الغناء لدى المجتمع الإفريقي من خلال تصويره مخيمهم فحتى بعد رحلة الموت مازالو يستمعون للأغناء، حيث قال :"موسيقى أغنية (مونجوبالو) للمغنية الماليزية (رمانادياكيتي) تغطي أرجاء البيت مع الرقص....".

1- الصديق حاج أحمد_كاماراد، ص28.

2 - الصديق حاج أحمد-كاماراد، ص186.

ولقد إختار الروائي أشهر المغنيين الأفارقة للتعبير عن سمة الغناء، لأنه بالنسبة للمجتمع الإفريقي رمز من رموز الهوية فهم يقدسون طقوسه وجلساته كونه المتنفس الوحيد لهم من حياة الفقر والبؤس والحرمان، والحديث عن الغناء يقودنا للحديث عن الرقص.[1]

- **الرقص:**

الرقص كما سبق وذكرنا هو مجموعة من الحركات والإيماءات الجسدية يؤديها للإنسان المبتهج وحتى الحزين لما لا من قيم جمالية. فهذا النشاط العضوي مؤطر ثقافيا، ومنمط إجتماعيا، يختلف من مجتمع لآخر، بحسب طبيعة هذا المجتمع وطريقة تعبيره عن فرحه و حزنه وغيرها، وهذا ما إستهتر به الشعب الإفريقي و أراد الروائي إبرازه حيث قال على لسان المخرج (جاك بلوز)"الأفارقة يحبون الرقص...حتى في مظاهراتهم يمارسونه، إستدعت ذاكرته أيام التمييز العنصري، ورقص شعب الزعيم (نيلسون مانديلا) خلال إنتقاضته ضد نظام بريتوريا العنصري ..... ألا ترى اللاعبين الأفارقة المحترفين عندنا....عندما يسجلون الأهداف، يهرولون نحو زوايا الملعب،فيعبرون عن فرحتهم بلغة أجسادهم"

كما ورد الرقص في العديد من مواضع الرواية مثل:

العبارات	الصفحة
رقص سائق التاكسي رقصة خفيفة،غيرت لغة جسده عن هذه الفرجة،وهو يردد عبارة الفرح بلهجة قبائل الهوس(لجاي شيكا...لجاي شيكا)	21
رقص العامل رقصة مشابهة لرقصة سائق التاكسي،ردد خلالها (أنا فرحان)بلهجة قبيلته (زرما) وهو يقول أثناء حفلة الرقص (أي صابو....أي صابو...)	26
أقمنا همهمة وتهليلا عند الإنهاء داخل الصالة،البعض منا رقص وردد زبوره(أي صابو...أي صابو)(لجاي شيكا....لجاي شيكا)	172
رقصت رقصتي المعتادة، بالطبع رددت مقولة حبوري: أي صابو، أي صابو)	255-256

1- الصديق حاج أحمد كاماراد، ص201.

رقصت رقصتي المعتادة، رددت أنشودة فرحي(أي صابو،أي صابو)	319
رقصت رقصتي المعتادة: عرفت(أي صابو.....أيْ صابو)	322
عندما إقتربنا من رفيق نيجيري، قام هذا الأخير، ورقص مرددا المقولة المشهورة (لجاي شيكا...لجاي شيكا)	348
هذه هي حكاية رحلة فردوس (مون باطرون) والله .... دعني أختمها لك برقصة فرحي المعروفة: أي صابو...أي صابو... أخيرا وليس آخرا، لك واسع النظر سيدي	355

ومن خلال تتبع هذا الموروث الشعبي نجد أن خاصية الرقص قد وردت من بداية اليرد إلى ختامه، في رسالة واضحة من الزيواني لقرائه أن الرقص ملازم لحياة الفرد الإفريقي لايفارقه في كل الظروف، ومايحدث اليوم على مدرجات كرة القدم في التظاهرات العالمية أو الإفريقية، من قرع للطبول وغناء رقص يدل على مدى ولع هذا الشعب بالغناء والرقص، لذا جاءت الأغاني والرقصات داخل الرواية تصويرا للحياة الاجتماعية ولواقع الناس اليومي، وكيف أنهم إتخذوا من الغناء والرقص سيلاً لترفيه عن النفس، ولمغالبة معيستهم القاسية، فأصبحت هذه الصور من عمق عاداتهم وتقاليدهم، وعاكسًا لهويتهم وتراث أجدادهم.

المبحث الثالث: البعد الأسطوري والرمزي في الرواية

تشكل الأسطورة مجالاً خصبًا لتوليد الدلالات والمضامين الإبداعية والرموز الإيحائية، التي تمتزج فيها آفاق وتطلعات الروائي وأحلامة بروح عوالم المثيولوجيا. وتسمو بالمبالغات الخرافية التي تطبع الحوادث القديمة، فتحولها إلى أقنعة ذات أبعاد نفسية تتماشى من طموحات الرواني وما يصبو إليه فهي " تثري العمل الأدبي، وتضفي عليه دما جديدا يعكس النظرة الإنسانية للحياة بكل تناقضاتها الحادة، وصولاً إلى عالم يفجره الإستلهام بصورة التوظيف الأسطوري"[1].

لدى عهد الرواني إلى توظيف الأسطورة والشخصيات التراثية ليضفي على عمله صيغة التجديد والتجريب ويبرز مدى تمكنه من دراسة التاريخ والحوادث، ويفتح امام القارئ لروايته عوالما من التخييل ويزوده بالعديد من المعارف التي تنير تفكيره، فبالتالي يتحقق الهدف في تثقيف القارئ وزيادة وعيه ليتمسك بهويته وعاداته وتقاليده وارث أجداده، وأن لا يتسلح عن ماضيه ومن أمثلة الأساطير والشخصيات التراثية والأماكن مايلي:

الشخصيات الأسطورية والتراثية وأسماء الأماكن	معانيها	الصفحة
الأفاكون : زعم الدجالون أنك أبيض....توهم الأفاكون أن صنويك الأسود والأحمر مقامهما بالشرق هناك !! لعمري إنك قمين بهذين الوصفين الأخيرين صراحة....."	الأفاكون : مادة مركبة تلقى على المعدن البسيط فتحوله إلى ذهب ظاهر حسب إعتقاد الأقدمين أي كذب وتدليس و تزوير، وأفاكون في معجم المعاني الجامع هي أفاك : كان رجلا أفاك : كاذبا،كل أخباره إفك : كاذبا،كل أخباره إفك : كذب،حديث الإفك : الإقتراء على السيدة عائشة(رضي الله عنها)، ووظفها	08

1-عبد الرضا علي_الأسطورة في شعر السياب,دار الرائد,بيروت,لبنان ط2 1984_ص:22-

	الروائي ليدل على الكذب والتدليس والغش الذي يشوب الهجرة السرية وكل من يروج لها بغية كسب المال أوجني المنفعة.	
نيلسون مانديلا : "ورقص شعب الزعيم نيلسون مانديلا" حلال إنتفاضته ضد نظام بريتوريا العنصري... **مانديلا** : "سياسي مناهض لنظام الفصل العنصري، توفي عن عمر يناهز 95 عاما في جوهانسبرغ.إنتقل من ناشط ضد سياسة الفصل العنصري إلى سجين سياسي كان الأشهر في العالم ثم رئيس جنوب إفريقيا حيث كان يتمتع بشعبية و إحترام كبيرين، قضى 27 عاما في البحث وقد أضحى رمزا عالميا للحرية والسلام ثم للمصالحة، ويعرف مانديلا باسم "ماديا نسبة إلى إسم قبيلته"[1]	إن إقحام الزيواني لهذه الشخصية هي رسالة مشفرة لأبناء جلدته والأفارقة بنكرهم أن هذا الرجل بذل الغالي والنفيس لإزاحة حكم البيض عن جنوب إفريقيا (بريتوريا العنصري)، فكيف لأبنائه و أحفاده من القلعة السمراء يلقون بأنفسهم إلى التهلكة مقابل الهجرة إلى البيض و إلى الشمال وهم الذين إستعبدوهم و إستنزفوا خبراتهم لعقود من الزمن، فلم يستطع الزيبواني رصد الموروث الإفريقي دون أن يشيد بإنجازات الرجل الذي قبع في السجون من أجل تغيير أوضاع السود، فلما لا يحمل الشباب المشعل ويحاول أن يعمل ويبني لأجل بلده عوض الهروب للضفة الأخرى.	25
بحيرة البجع : أخيرا الشاشة الزرقاء بعد شد ومد ...ترقص على إيقاع بحيرة البجع	إن البجعة البيضاء رمز للحب الذي لايتزعزع، وكانت البجعة مع رفيقاتها في بحيرة الماء الأزرق بعد أن تحولوا	47

1مانديلا رمز للحرية والتسامح/أخبار الجزيرة نت https://www.aljazeera.net _2013/12م _11:45_

الموسيقار الروسي(تشايكوفسكي) -"بحيرة البجع إحدى الروائع الموسيقية للموسيقار الروسي والتي ألفها في الفترة ما عام 1875-1876 ، وتضاف إلى تراثه الموسيقي العالمي، وقد حولت إلى قصص و أفلام سينيمائية"[1] تحذر البشر من طريقة التعامل مع الطبيعة الأم.	من أميرة ورفيقاتها إلى بجعات بسبب السحر، ففي توظيفها إشارة إلى السحر والشعوذة المنتشران في إفريقيا، وكذا إختفاء أيقونات الحاسوب على الثانية الزرقاء كإختفاء البجعات من البحيرة، ويفي ماحادوا حائرا في ضعف التاث وماصاحبه من ضجر	
دوكو: فرعون النهر : ندمت ولعنت نفسي، تمنيت لو أن (دوكو)فرعون النهر،بلعني في هذه اللحظة و إسترحت والله يعتقد السكان على ضفتي النهر (نهر النيجر) أن هنالك إله إسمه دوكو هو المسؤول عن ارتفاع و إنخفاض منسوب المياه نهر النيجر ، و أن على السكان أن يقدسوا هذا الماء إن أرادوا أن يعيشوا بسلام[2]	وظب الزيواني هذه الأسطورة ليأكد على ذهنية الإفريقي الذي يؤمن يالخرافات و يستنجد بالأكاذيب والطرهات و تبرك نفسه لعبة الإشاعات و الأقدار دون أن يفكر ويستخدم عقله	90
الإمام المغيلي : إذا ما قورنت بهذا العدد المتورم من أكواخ الصفيح.... الصومعة الطويلة للمسجد العتيق للإمام المغيلي...تبسط سطوتها على الأفق	-أتى الروائي على ذكر الإمام المغيلي في إشارة إلى الإمتداد التاريخي والديني بين شعوب المنطقة منذ القدم، فلقد هاجر المغيلي من تلمسان أي الشمال إلى أقاسي	111

1- بالية(بحيرة البجع) بنظم إلى فريق حماية البيئة https://diffah.alaraby.co.uk 3/7/2021

2- أخبار الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net م2015/25

العام للمدينة. -محمدين عبد الكريم المغيلي: عالم وفقيه تلمساني، كانت له أياد بيضاء، على نشر الثقافة العربية الإسلامية بممالط نازلة "يهودتوات" كما لو مناظرة مع جلال الدين اليوطي حول علم المنطق، له زاوية مشهورة بصحراء توات، بها أحفاده، بمقاطعة زاوية كنته ولاية أدرار-توفي سنة 909 هـ بقصر بوعلي وضريحه معلوم بزاوينية ..."[1]	الجنوب رافعا راية العلم متحديا كل الظروف القاسية، ليصل في دعوته الإسلامية إلى مالي والنيجر وقبائل الهوس وزرما في سبيل العلم، وأن الهجرة جعلت للمنفعة لا للهلاك، وكانت أهدافها سامية لا لأجل مال ودنيا كما يفعل شباب اليوم.	

أسطورة تينهنان " كنا متحلقين بعيدًا عنهم، عندما أفا إدْريسو:(تقول الأسطورة الطارقية إن عادة اللثام لوجه الرجال منهم... ترجع لجدتهم "تينهنان" حيث المرأة تسفر عن كامل وجهها،لجلالها و قدرها...." " تين هينان هي ملكة قبائل الطوارق، وقد حكمت في القرن الرابع ميلادي، و إليها يستند هؤلاء القوم في تنظيمهم الاجتماعي الذي يستمد السلطة (حتى الآن) من حكمة المرأة هي الأم الروحية	لقد أدرك الزيواني أن الحديث عن الطوارق و عن موروثهم الشعبي و عاداتهم و تقاليدهم لا يكتمل دون الإشارة إلى الزعيمة الروحية و الملكة المقدسة لديهم تين هنان، و التي هاجرت هي الأخرى من تافيلالت، إقليم الرشيدية بالمغرب إلى أبلسة ولاية تمنراست، حيث قارعت الظروف الصعبة لتنسج لنفسها بطولات ظلت خالدة لليوم، فهجرتها و سفرها و تنقلها كان بهدف الدفاع عن الأرض و العرض	***123***

1- الصديق حاج أحمد_كامارد-ص- 111.

للطوارق بتمنراست بالجزائر تينهنان أو المرأة الكثيرة الرّحال و السفر"[1] و قد نسجت حولها العديد من الأساطير و الحكايات عن شجاعتها و بأسها و حكمتها.مما جعل رجال الطوارق يستحون من شجاعتها و دفاعها و بسالتها فيضعون اللثام على وجوههم في حين تكشف المرأة الطارقية عن وجهها.	ورفض للعبودية و السيطرة، في رسائل مشفرة دائما يبعثها الزيوني لكل من يهاجر و يموت و ليس ليحيا، و الموت ليس موت الجسد فقط بل موت الكرامة.	
أسطورة الحديد في رقاب تمائم جلدية حمراء، مربوطة بخيط مفتول رُص إلى جانبها في ذلك التنظيم، مسمار حديدي و صرّه قماش مشدود فيما شئ ما... قال لنا ساكو دون سؤال منا(إنها طقوس الطوارق، يستعملونها لأبنائهم بغية صرف عين الحسود....) زاد على كلامه أليكس لما فهمه، بأن في (كوت دي‌V‌ـوار) كذلك، هناك اعتقاد شائع بهذا الطقس، لا سيما في القرى النائية (يؤمنون بأسطرة الحديد و طرده للأرواح الشريرة !!).	يواصل "الزيواني" في إبراز البعد التاريخي لسكان المنطقة و الامتداد السوسيلوجي لسكان القارة، فالعادات و التقاليد المشتركة تدل على الحياة الجماعية الموحدة و أن كل هذه المناطق يحكمها تاريخ عريق مشترك، حتى في الأشياء التي تبدو ساذجة لكنها تتكشف عن روابط اجتماعية، عميقة جمعت شعوب المنطقة، وكلما غصنا في أعماق التراث تكشفت أكثر فأكثر	

إن عملية إقحام الرمز الأسطوري تكسب العمل الفني، أبعاد نفسية متجددة باعثة أسمى القيم المُثلى في عوالم السرد حيث تنبض الروايات بكلماتها، فلا يبقى حضورها متعلقا بقوالبها اللغوية الجامدة، بل ينزاح إلى دلالات تعبيرية خاصة لأن عالم الأساطير هو عالم باعث للخيال، ومعامل موضوعي للرؤى و شمولية التجربة الذاتية و خصوصيتها، وبؤرة انصهار

[1]- ويكيبيديا- مريم العذراء –Wikipedia-https :ar wikipedia.org-wiki

لصور و رموز ذات علاقة بطبيعة اللغة الإبداعية ، لأن الأسطورة "باعتبارها حكاية أو رواية شعبية إنسانية متصلة بحياة إحدى الأمم، تهدف إلى التعبير عن بطولة أو قيمة لها أثرها في نفوس الناس"[1]، كما تعد لدى البعض الآخر: "كثر الغوامض إثارة يلجأ إليها الكتاب لتحقيق أحلامهم و التعبير عن تطلعاتهم الفنية و الفكرية و إثراء تجاربهم لأن اللغة في استعمالها اليومي المعتاد تفقد بالضرورة تأثيرها و تشحب نضارتها"[2]. ولقد أدرك الزيواني ذلك، فعمد إلى شحد سرده بكم هائل من الرموز التي يصعب رصدها و الوقوف عليها في هذا العمل المتواضع، لكننا حولنا أن نرصد هذا التعامل الفني مع اللغة لدى الروائي القائم على الداعيات المبنية على الواقع الممزوج بالأحلام و التخيلات ضمن معادلة ثلاثية الأطراف يقوم المرسل فيها "بإلقاء الموضوع للتداول و تقوم الذات بتبني هذا الموضوع و الإقناع إلى القبول بالفعل"[3] فتصل الرسالة كاملة في أبهى حلّه بين المرسل والمتلقي، و في الجدول الموالي رصد لمزيد من رموز أسماء الأماكن و الأعلام:

رموز أسماء الأماكن و الأعلام	دلالاتها و معانيها	الصفحة
كاماراد: - عُسانو – غاريكو – ساكو - ** جورج المسكين وحظهُ التعيس.	رمز الصداقة وعمق المضمون الإنساني، الذين جمعتهم رحلة الشقاء والوداع و الحيف.	28 266
الأم: - سلاماتو:أنها كانت تردد دائما: سيرجع ابني مامادو(سالمًا)لأن لي من إسمي سلاماتو نصيبًا !!. -جارتي العزيزة "خديجاتو" فاز ابنها الوحيد بالفردوس...ولم يرجع أنا أفضل منها...على الأقل رجع ابني سالمًا حيًا..هذا يكفيني..	أتى الزيواني على ذكر الأم في كذا موضع كرمز للأمن و الأمان و الحب الصادق، الذي يحفظ العهد في الحضور و الغياب، و الدعاء الذي لا ينقطع، والفرح بالعودة رغم الخيبة.	**28**

[1]- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية – القاهرة- مصر –ط1-2001- ص20.
[2]- جمال لمباركي،التناص و جماليتهُ في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة ابداع الثقافية، الجزائر،د/ط-2003 – ص204.
[3]- سعيد بن كراد، مدخل إلى جمالية السيمائية السردية،منشورات الإختلاف-الجزائر،ط2، 2003-ص51.

الجدّ غنْدا – الأب بوريمـا – حتى بلغ بيت بوريمـا. – لم تقتنع والدتي بتغير الأشخاص و الأزمنة ... لازالت تحافظ على الكمية نفسها التي كانت والدي يبيعها. ربما فاتها أن الناس تبدلت و لم يعد لـ(Gورو) أي مستقبل، بسبب زهد الناس فيه،الأباء كانوا يمضغونه كفعل تراثي ورثوهُ عن أجدادهم، كما ورثت هذه الحرقة عن أبي عن جدي. – لم يكن الوقت كافيا كفجر كل صباح حتى أقطع أعواد شجرة (Gورو) التي ورثتها عن أبي و جدتي. – إلى لم يفهم حفيد غندا شيئا.	– يعد الجدّ الركيزة الأساسية داخل الأسرة، فهو منبع القيم و الحامي و الحارس لموروث الأسرة. لدى كانت والدة (مامادو) تعتقد أن البقاء على سنين القدامى شيء لا بد منه في الحياة ابنها(مامادو) حيث ترى في بيع أعواد (Gورو) إثبات للهوية الواحدة داخل الأسرة، على عكس (مامادو) الذي كان يميل إلى التغيير و التخلي عن عادة أبيه و جدّه بحكم تغير الأزمات و الناس، شأنه في ذلك شأن الشباب الجديد الذي لا يريد الاستمرار مع كل ما هو قديم بدعوى التحضر و التمدن.	
العم بامبا نصحني بعدها أن آخذ معي عمي بامبا سوق بيع المواشي... لقد اكتسب خبرة واسعة في بيع المواشي و شرائها و المبادلة و فيها... لكنه اشترط قبل ذهابنا للسوق صباحًا. أن يمرّ على أمي و بتحقق في الأمر معها، وافقتهُ و أعطيته الحق في ذلك.	رمز للجار الوفي الذي يساند جيرانه ولا يخطو خطوة مع صغير إلا بالعودة إلى كبيرٍ في إشارة إلى صدق العلاقات التي كانت تحكم الناس و الوفاء و الإخلاص لكل ما جميل.	77
–جاك بلوز– دخان الغليون **– الولاعة الذهبية– سجائر مالبورو.** رسم دخان الغليون عليها إصفرارًا. قام بفرائض الغاليون و ** المؤكدة،	رموز الرفاهة و البذخ لكنها أيضًا تعاني الإحباط و الهم و الصدمات فالمعاناة لا تقتصر على الفقراء فقط.	11-17 168

أشعله بولاعة ذهبية....		
-اللاعب (ديديه دروGـبا) الإيفـواري. **- المدرب(ديGـو سيميوني)** يحمل الرقم(11) و اللاعب الإيVـواري (ديدييه دروGـبا).	الرموز الإفريقية لكرة القدم شهرتها و ثراؤها كان محركًا للهجرة اللاشرعية لدى الأفارقة، و الحلم بالضفة الأخرى.	**08** **11**
<u>الحاكـم ديوري همـاني</u> أول رئيس للنيجر بعد الاستقلال 1960 أطاح به العسكري حسين كونتيشي سنة 1974.	رمز لحُكام الدول الإفريقية المنتخبين بطرق شرعية بعد التمييز العنصري، لكن الانقلابات العسكرية، و المطامع الداخلية و الخارجية أطاحت بهم لتعيش بلدانهم مزيدًا من الحروب الأهلية و الصراعات حول الثروات و السلطة بمباركة الدول الغربية.	
<u>الشخصيات الأمازيغية</u> **معطوب الوناس – أن أمستـان- إيدير** -إنها للمغني القبائلي الشعبي الشهير "معطوب الوناس" وأن هذه الحروف تسمى النغناغ. -سمعناه يقول،ردًا على من ناداهُ وهو يقبض على مرفق الماكنة نحو الأسفل. - إيدير..إيدير النادل الأمازيغي.	أيقونة الفن و الغناء القبائلي، الذي أصبح رمزًا للنضال و الكفاح بالفنّ، فلا يخلو شارع ولا مقهى ولا مطعم من أغانيه وصوره سواءاً في الديار أو الغربة، كما هو الحال في مقاهي و مطاعم الجنوب المتاخمة للحدود، التي يملكها القبائل الذين يستثمرون بكثرة في تلك المناطق، بالإضافة إلى إقحام اللغة الأمازيغية كونها رمز من رموز الهوية الوطنية،وذكر أGـ أمستان زعيم الطوارق بمنطقة الهقار(تمنراست) بالجزائر، بقي رئيسا لقبيلة كل أهقار من 1905 إلى1920م.	
جنة الخلد –الفردوس- لامبيدوزا-	أماكن الثراء و النعيم و حياة الرفاهية	07-08

الألدورادو. -استحداء جنة الخلد. - لم يكن يحلم يهاجر في الفردوس. -قبالة شواطئ جزيرة لامبيدوزا الإيطالية. - الألدورادو :مصطلح يطلق في عمومه على أماكن الغنى و الفردوس.	التي يحلم بها الشباب الكامارادي و العربي و الجزائري، و التي تولد فيهم الشعور بالفرح و السعادة عند سماعها أو ذكرها.	45-27
Gـيثار الصدفة-القبر البعث- النفخ في الصور- المحشر- الصراط – هامش اللذة و الممنوع- الرّجة الكبرى- سدرة المنتهى.	رموز لعزف ألحان الحياة و الإقتباس من القرآن لتعبير عن الأهوال التي يلاقيها المهاجر، كأنها أهوال يوم القيامة لشدة عظمتها.	9،33،51، 79، 105، 127، 203، 343، 349
<u>السيدة العذراء- عباءة اليسوع – الصليب.</u> " أن السيدة العذراء و يوسف، وجدا يسوع في الهيكل بعد ثلاثة أيام..."	سماحة الإسلام في التعايش مع الأخر، وتقديس مريم بنت عمران كرمز للطهارة و العفة، و الرزق.	**309، 291 145**
<u>الدراسة و الحب و الأمل.</u> كانت زميلتي تحبني كثيرًا..أغلب الظن لذكائي فقط..لا سيما بعد حصتي الجبر و الهندسة..أعرف هذا....	التسرب المدرسي رغم التفوق للعمل ثم الهجرة نحو الموت بمستوى ثقافي متدني، كان بالإمكان مواصلة الدراسة و العمل لأجل الوطن.	**75**
<u>الحروب و الاستعمار</u> - أمّا الحرب الأهلية الثانية يا رفيقي فقد بدأت بعد ثلاث سنوات.... -تشابه المعمار الأدراري مع معمارنا الإفريقي في مدن(أGادَرْ) و(طاوة) و(تساليتْ) و(Gـاو)...إن الإستطان الفرنسي هو الذي أدخل هذا النموذج	الحروب الأهلية التي تلتهم الأخضر و واليابس، بتحريض من الاستعمار الجديد،ومخلفات الاستعمار القدي، فكأن الشواهد تثبت إلى الآن مطامع الدول الغربية في خيرات الجنوب و محاولة استنزافها بشتى الطرق.	**133** **310**

المعماري إلى هنا من بلداننا الإفريقية.		
الرشوة- الفساد – تغافل السلطة – صعد الحافلة جندي يلبس بذلة عسكرية، كان همّه واضحًا أن يتصيّد شابا كامارادیا بلا وثائق هوية أو جواز سفر بلا تأشيرة، ليعيش برشوته مع رفاقه... – إن المقاولين بتلك النواحي يشغلونهم في الأعمال الشاقة .. وعلى مرأى و مسمع من الشرطة و الدرك و الجيش الجزائري...ذهب أحدهم إلى القول ... إنه اشتغل عند إحدى المقاولين في ترميم.. فيلات...أهل الأمن هناك بطاما، الضابط يعلم ذلك...لم يرفض أو يطالبه بوثائق.	رموز الفساد السياسي الذي استشرق في الجنوب وزاد الطينة بلة، وأسهم في تفاقم ظاهرة الحرقة و الخراب الاقتصادي، فكثيرًا من حرس الحدود من امتهن مهنة استنزاف الحراقة و سلب أموالهم مقابل السماح لهم بالعبور، في إشارة من الزيواني وهو ابن المنطقة إلى عدم *** هؤلاء اتجاه الظاهرة.	**108** **125**
الانتحار و الموت – " النجمة المنتحرة(مارلينْ مونْرو) حيث كرمتها اللجنة المنظمة لهذه *** بوضع صورتها على الملصقة الإشهارية للمهرجان..." . – في مثل هذه الظروف، لك أن تتصور الموت أمامك بلا مشقة !! . – ندامة النيجيري (مامادو) في تضييع فرصة ابتسامة تلك الإيVوارية الجميلة بحث عنها كثيرًا، قيل له أنها انتحرت.	أراد الزيواني رصد المفارقات و توليد الدلالات العكسية بهذه الرموز فالنجمة الأمريكية لشدة ثرائها و متعتها انتحرت و الإيفوارية لشدة عذابها وممارستها لمهنة بائعة الهوى و الجنس انتحرت ليبعث رسالة مفادها أن لذات الجسد فانية سواء مع الغني أو الفقير ولا يبقى إلا صفاء و نقاء الروح	12 145 295
حي الشومارة –الشاطـو – أبني وسكتْ	دعوة الزياني للقارئ للبحث عن المعنى	

– اتصل بأحد رفاقه الموجودين هنا بحي (تهGـقارتْ الشومارة) . – نسأل أحد هؤلاء المذكورين عن حي "الشاطو"... – عرفنا أننا بحي" أبني و سكتْ الذي قال لنا عنهُ بباريس قبل شهرين...	و تأمل الأنساق الفنية الجديدة،ففي تسمية هذه الأحياء التي احتلها ليكاماراد على أرض الجزائر تثير الاستغراب، فهي بؤر للبؤس و الفساد معًا كما تنتشر فيها الأمراض و الآفات، وهي على مرآي و مسمع السكان و السلطات.	190 193 310
تزوير العملـة و المخدرات حذّرتهُ أن يشي في الهاتف بأمر يخص ترويج العملـة، اتفقنا على كلمة السر أعواد Gـواروا كدلالة رمز به العملة المزورة(أورو قريب من Gـورو)هههه.	رمز تدين أهل الجنوب و شوقهم إلى زيارة بيت الله الحرام يدفعهم للوقوع في فخاخ مُدلسي العملـة ومزوريها فيصبح الشيوخ و العجائز في الجنوب الجزائري صيدًا دسمًا.	240
– هذه أول مرة أدخن فيه الحشيش كذلك لا أظن أدريسو قد فعل ذلك قبل اليوم. – يسأل عن كايطا لعلّه يريد زطلة. – أليكس هو الآخر كان يتعاطى المخدرات و يبيعها.	رمز لرؤساء المخيمات الإفريقية الذين يتاجرون بالمخدرات و الممنوعات، و الضحايا من الشباب المهاجر فكأن الفساد مقابل الإيـواء و السكن.	**222** **249** **258**
الدّعارة و السرقـة – البعض من النساء الكاماراديات، بدأت يظهرن عند مدخل الحي كسلعة رائجة . – القوانين...تجرم العلاقة المثلية الطوعية و أنها تعرض للهوموفوبيا... – كانت أخبار السرقة التي سمعناها قبل الرحلة...من الأمور التي تجعلك تطمر دراهمك في مكان سحيق جدًا من	إشارات و معاني عميقة لحسرة الروائي على ما يحدث في الجنوب الكبير فمنطقة تمنراست وأدرار من المناطق المحافظة أصبحت مرتعًا للفساد، حتى أن السكان الأصليين يذهبون إلى هذه الأحياء و المخيمات المعزولة لأجل اللذة و الشهوة.	**213** **207** **209**

تلافيف جسدك.		
جدائل الشعر – برجرجة سنابل شعر رفيقي إدريسو مع غيره...الذين تتدلى منهم هذه الجدائل الشعرية العربية. – كان روكس...ضاحكا...معتدل سوادهُ ناعم، سنابل شعره مثلها. – إدريسو...شعره المفتول المتدلى كالسنابل كان يقول...إنه مبهور بالمغني الجامايكي (بوب مارلي).	الشعر المفتول رمز الشباب الكامارادي، كما أن الزيواني استدعى رمزًا مشهورًا (بوب مارلي) لكي يجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل شخصياته من عواطف و أفكار(أريسو– أليكس).	117 289 37
مـون باطـرون – Merci Mon patron. – إلى اللقاء Mon patron . – لا تقلق مون باطرون. – أكمل... مع ولي نعمته.قال لنا ... الباطرون يشكركم.	رمز و رسالة للإستعباد و الذل، فقد تكررت أكثر من 50 مرة للدلالة على ذل هؤلاء المهاجرين و انحطاطاهم و التخلي عن كرامتهم مقابل الهجرة.	21 27 32 173
الملعقـة – من أن الملعقة تبقى معك حيثما رحلت و أقمت ولا غرابة إن ركبت معك قوارب البحر. – المهم تسابقت الأيدي للصحن، الويل لم تعوّدت يدهُ النزول للصحن لتصوير البطيء، كما تصطلحون في حرفتكم سيدي... – تُمثل بملعقة صغيرة يحملها في يده.	رمز لقلة الأكل و أنه عليك أن تكون جاهزًا.و حاضرًا و سلاحك في يدك أي ملعقتك وإلا قضيت من الجوع، فهي الرفيق الحقيقي وقت الحيف.	**212** **139** **28**

إنّ تكرار العديد من الرموز و الأماكن و الشخصيات أضحى في حد ذاته رمزًا يمثل عمق التجربة المستمدة من وعي الروائي و تبصره بما يقدم في متن روايته، فقد جعل الأم و العائلة رمزًا لإعادة الحياة، واستحضر نيلسون مانديلا رمزًا لتحرر و المطالبة بالحياة الكريمة لكل المعذبين في الأرض.ممن يقارعون التمييز و الطغيان، كما كانت الشخصيات الدينية وكالمغيلي و مريم العذراء أقنعة تحدث من خلالها الزيواني عن نفسه، متحررًا من ذاته و متقمصًا وجود مستقبل حامل في طياته دلالة التنوع و الانفتاح و الإمتداد لأن" العمل الأدبي يبلغ من الكثافة و التعقيد بحيث لا يكفي أن نستنطقهُ بطريقة واحدة كما يؤكد أيضا سعة الأفق فكريا و جماليا"[1].

فالروائي استطاع أن يتعامل مع المفردات و المعاني تعاملا جديدًا، ليخرجها من مكمنها المعجمي إلى معاني جديدة متنوعة وفقًا لسياقتها ووفقًا لما أضفاه عليها من روحه و ذاته و تجربته الخاصة في قالب متجدد، كما كان لرموز الأسطورية و التراثية و الاستخدام الخاص للأسماء و الأماكن و الأعلام صدى ينُمّ عن تنوع معجمي منطلقه الحاضر و قدرته الماضي و آماله المستقبل، فلا يمكن المضيء قدُمًا نحو مستقبل مشرق مُفعم بالحياة إذا قطعنا حبل الماضي و انسلخنا من جلد أبائنا و أجدادنا.

[1]- عبد الله العشي-زحام الخطابات-دار الأمل للطباعة و النشر- الجزائر-ط1- 2005- ص75.

خاتمة

بفضل الله وحمده وصلنا إلى خاتمة دراستنا هذه المعنونة بجماليات التخييل في رواية كماراد لصديق الحاج أحمد، ونلخص ماجاء فيها في النقاط الآتية:

- نجد أن هناط علاقة تكامل وتلاحم بين المتخييل والواقع لأن المتخييل انعكاس للواقع فالرواية نتاج الخيال والواقع.
- يكاد لا يخلو نص إبداعي أيا كان من الخيال بل أصبح الخيال أحد مقاييس الإبداع.
- هناك غموض وتعقيد تميز به مصطلح المتخييل وهذا التشابكمع مصطلحات أخرى رديفة كالخيال والتخييل واختلاف ماهيته من ناقد لآخر.
- الخيال يساعد في ايقاض العواطف الكامنة لدى الإنسان فهو قوة داخلية موجودة في كل إنسان سليم وخروجها يكون نتيجة لمحفزات ودوافع تدفعها للخروج من كمونها.
- تعددت آراء الفلاسفة في مفهوم الجمال ولكن على الرغم من تلك الجهود إلا أننا لا نعثر على نظرية جمالية متكاملة لها حدودها الواضحة، وإنما اقتصرت جهودهم عل إعطاء فكرة الجمال وحقيقته وعلاقته بالفن.
- اختلفت النقاد في تحديد الجمال والجمالية كل يراه حسب قناعته.
- توغل التخييل في رواية كاماراد في الفضاء، الشخصيات اللغة هذا ما أكسبها جمالية ومتعه فنية.
- تعد رواية كاماراد انعكاس العصرنة على حياة الأفراد ومصير الأمم ومدى تأثيرها على حياة الشخصيات وتغيير نمط عيشهم ونظرتهم إلى الحياة والواقع.
- توغل التخييل في رواية كامارادفي الفضاء، اللغة، الشخصيات وهذا ما أكسبها جمالية ومتعة فنية.
- رواية كاماراد من وسائل "الصديق الحاج أحمد" في نقل لمشاعره وأحاسيسه وأراءه إزاء الواقع المرير، والهجرة الغير شرعية التي أصبحت ظاهرة شائعة في جل البلدان الإفريقية.
- المكان الروائي هو بناء لغوي ينسجه الخيال الروائي فهو المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه حيث تحمل الرواية –كامراد–في طياتها فشاءات متنوعة من الأماكن (مغلق/ مفتوح).
- استرسل الكاتب الصديق حاج أحمد في وصف بطله عبر فصول روايته من حيث البناء الخارجي أو ما يقصد بالبعد الجسمي.

- نجد شخصية البطل "مامادو" هو الصوت المحوري في الرواية والطاغي في النص حيث يملك حضورا قويا سواء من خلال يومياته أو من خلال حواراته مع باقي الشخصيات الأخرى فهي شخصيات فرعية لهذا فعلاقة بين هذه الشخصيات علاقة وطيدة من خلال انتقالها مع البطل من مكان لآخر أثناء رحلته.
- لقد وفق الزيواني إلى حد بعيد في الاشتغال على محمولات اللغة وإبراز دور اللهجة العامية في التعبير عن الضمير الجمعي الجزائري، ومرونتها في الوصول إلى الملتقى في كونها تعبر عن واقعه دون اغفال دور اللغة الفرنسية التي يعتبرها الفرد الإفريقي عموما والجزائري خصوصا رمزا للتحضر والتمدن
- اهتمام الروائي باللغة كونها جوهر الإبداع.
- إن لتوظيف الأمثلة الشعبية والموروث الثقافي أبعاد مفسية واجتماعية تعبر عن الامتداد الثقافي بيم الدول الإفريقية.
- كريقة اللباس والأكل والشرب تؤكد على البعد التاريخي للدول الإفريقية فهي تشترك في العديد من العادات والتقاليد.
- رغم أن الجنس الأبيض يحتقر السود ولا يرى فيهم إلا عبيدا منذ الأزل إلا أن سكان القارة السمراء يعشقون هذا الجنس الأبيض الذي يسعى دائما إلى إذلالهم والحط كم شأنهم.
- الرمز قناع يظهر القليل يخفي الككثير ليثير في نفس المتلقي نوعا من الفضول للكشف عما وراءه.
- السواد والبياض الموزع على فصول الرواية تؤكد جدلية السوذ والبيض التي تستمر مادامت الأرض أرضا والسماء سماء.
- لم يهمل الروائي نوعية الطعام فأعطى لهذا الأخير اهتمام ليبين طبيعة المنطقة ولتوضيح جانب من عاداتها حيث تطرق "الحاج أحمد الصديق" إلى بعض الأكلات (كالأرز، والمايانامية ...) واعتبرها من المواضيع والرموز الموحية إلى الهوية.

وختاما لهذا نجد أن الروائي "الحاج أحمد الصديق" نجح إلى حد بعيد في تصوير جماليات التخييل في الرواية، ويتجلى ذلك من خلال وصفه الدقيق للأماكن والشخصيات الواردة في الرواية، حيث أضفى ذلك نوع من الحيوية في تفاصيلها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمةالمصادروالمراجع

– القرآن الكريم .

أولا: المراجع

1-إحسان عباس، فن الشعراء، دار صادم، ط1، بيروت، لبنان، 1996.

2–الألدورادو: تعني المذهب بالإسبانية يطلق اللفظ في عممه على أماكن الغنى والفردوس.

3–آمال حليم الصراف، علم الجمال فلسفة وفن، دار البداية، عمان، الأردن، ط1، 2012.

4– آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، ط2 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو.

5– أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال(أعلامها ومذاهبها)، دار قناع لتوزيع والنشر، 1998،ص31.

6–بسيمة بوشريط المهمش روائيي كاماراد للصديق الحاج أحمد والعمامة والطربوش صبرسنه بن عزيزة رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر إشرف رواية شاوي السنة 2018–2019

7–التهجين: يعتبر التهجين أحد الطرائق الأساسية لبناء صورة اللغة في الرواية، وكلما طبق بطريقة واسعة و عميقة كلما اتخدت اللغة طابعًا موضوعيا – مخائيل ياختين: الكلمة في الرواية–.

8–حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي.

9– الحسن الهايل، الخيال أداة الإبداع، مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ – 1988م.

10– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2013.

11– سعد علواش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985.

12- الصالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1407،1، 1986، المكتبة الإسلامية، بيروت،..
13- صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، ط1994،1م، دار الحوار للنشر، سوريا.
14- الصديق الحاج أحمد كاماراد رفيق الحين والضياع غضاء للنشر والتوزيع الأردن ط12. 2015.
15- عبد الرضا علي_الأسطورة في شعر السياب,دار الرائد,بيروت,لبنان ط2 1984.
16- عبد القادر الجرجاني- أسرار البلاغة في علم البيان- دار المعرفة – بيروت –د/ط .
17- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، بيروت، 1412هـ، 1999م
18- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشد للطباعة والنشروالتوزيع، شارع السلام، اللواء المهندسين، دط، 740-8016هـ، ..
19- غسان كنافي، جماليات السرد في الخطاب الروائي.
20- غسان كنافي، جماليات السرد في الخطاب الروائي، المكتبة الوطنية، دار مجد اللاوي، ط 1.
21- فائزة بن خليفة، مصطلحات الخطاب والمتخيل عند محمد لطفي اليوسفي مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ورقلة، قاصدي مرباح، 2011-2012م.
22- كمال حسن مرعي- المجموع الكبير من المتون-المكتبة العصرية-بيروت-ط1-2005.
23- محمد رمصيص، المتخيل العجائبي والغربة بقراءة في التجربة القصصية لأحمد بوزقور، مجلة الكلمة، دط، ديسمبر2012، ع8.

24- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، إشراف: يحي الشيخ صالح، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية،2005،2006.

25- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حناميتة، الهيئة العالمية السورية للكتاب، دمشق، 2011 .

26- ميس خليل محمد عودة-تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي-

27- نصر الدين، الشخصية في العمل الروائي، مجلة الفيصل الثقافية السعودية، دار الفيصل الثقافية، العدد 37.

28- هاجر قويدري، مقال بعنوان: الشخصية الإشكالية في رواية: نورس باشا" للروائية: هاجر قويدري، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016،.

ثانيا: المواقع الإلكترونية

1-أخبار الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net 2015/25م

2-بالية (بحيرة البجع) بنظم إلى فريق حماية البيئة https://diffah.alaraby.co.uk

3-الخير شوّار- رواية كامارد- الهجرة غير الشرعية من منابعها- https://WWW-aljazeera.net

4-الروائي الصديق حاج أحمد في حديث الجريدة الوطن https://alwatan.com ماي2016-12:32

5-اللغة من إبن جني إلى سوسير – جريدة المدينة https://WWW.at.madina.com.

6-مانديلا رمز للحرية والتسامح/أخبار الجزيرة نت https://www.aljazeera.net _2013/12م _11:45_

7-يارا حسن –مفهوم التناص في اللغة العربية – https=//mawd003.comاخر تحديث 11:08 أغسطس 2022

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الآية	
شكر وتقدير	
اهداء	
المقدمة	أ،ج
مدخل: **تعريف الجمال، الجمالية وكذا الخيال والمتخييل**	**11-5**
أولا: المتخيل اصطلاحا	**5**
ثانيا: تعريف الخيال	**7**
ثالثا: مفهوم الجمال اصطلاحا	**8**
رابعا: تعريف الجمالية اصطلاحا	**10**
الفصل الأول : **جماليات الاشتغال على الفضاء وحضور الشخصيات**	**36-13**
ملخص الرواية	**13**
المبحث الأول: جماليات الاشتغال على الفضاء	**14**
المطلب الأول: الفضاء المغلق	**14**
المطلب الثاني: الفضاء المفتوح	**19**
المبحث الثاني: جماليات حضور الشخصيات	**25**
المطلب الأول: الشخصيات الرئيسة ودورها	**25**
المطلب الثاني: الشخصيات الثانوية ودورها	**27**
الفصل الثاني : **جماليات اللّغة في الرواية**	**38**
المبحث الأول: عتبة العنوان وامتزاج اللّغة الفصحى باللهجة العامية	**39**
المطلب الأول: عتبة العنوان ومابعدها	**39**
المطلب الثاني: التهجين وامتزاج الفصحى بالعاميّة والفرنسية وغيرها	**43**
المطاب الثالث: التصوير ودلالته	**53**
المبحث الثاني: توظيف الموروث الشعبي والثقافي	**66**

المطلب الأول: الموروث الديني	67
المطلب الثاني: الموروث الاجتماعي	75
المطلب الثاني: البعد الأسطوري والرمزي	90
خاتمة	104
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	

الملاحق

* نبذة عن الروائي :

الدكتور الحاج أحمد الصديق من مـــــــوالید 1967/12/19م بادرار الجزائر أكاديمي وروائي نشأ بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار بالصحراء الجزائرية تلقي تعليمة القرأ في بداية بكتاب القصرعلى يد شيخه " الحاج لحسين الدمراوي " رحمة الله تدرج في التعليم النظامي حيث تحصل على الباكالوريا والليسانس والماجستير والدكتوراء يشتغل أستاذ محاضر لمقياسي اللسانيات وفقه اللغة بجامعة أدرار تلقد منصب نائب عميد كلية الأداب واللغات لمدة ..... ورئيس تحرير مجلة أصداء الملتقيات الدولية مشارك دائم بالصحافة الجزائرية المكتوبة كما له مساهمات دائمة كذلك بالصحافة العربية لاسيما بجريدة العرب اللندنية ومجلة الجديد اللندنية أصدر أول رواية له عام 2013 تحت إسم مملكة "الديوان" كذلك رواية "كاماراد" رفيق الحين

*** التعريف بالرواية :**

رواية كاماراد رفيق الحين والضياع الصادرة عن دار فضاءات الردنية الطبعة الأولى 2015 للروائي حاج أحمد الصديق الملقب بالزيواني ذ

تعالج رواية "كاماراد" قضية من قضايا الساعة المتمثلة في الهجرة غير الشرعية للأفارقة نحو الفردوس الأوربي وتدور أحداثها حول شخصية نيجيرية محورية تدعى"مامادو"تنطلق في رحلتها من عاصمة النيجر نيامي نحو فردوس الشمال سالكة أصعب الظروف عبر الصحراء الكبرى مع مهربي البشر للوصول الى جنوب الجزائر لتنتحل هوية شخصية أخرى مالية مسيحية تدعى "كوليبالي" بجواز سفر مزور ليعبر به أرض الجزائر نحو الشمال وصولا حتى الحدود الغربية لينطلق في رحلة شاقة اخرى ليصل مدينة الفنديق المغربية قبالة جيب سبته الاسبانية محاولا عبور السياج في ليلة أعياد الميلاد ليسقط في قبضة الحرس المغربي ويعيدوه إلى النيجر.

تبدأ الرواية بصوت خفي من مهرجان كان السينمائي الدولي سنة 2012 يسرد خيبة المخرج الفرنسي "جاك بلوز" الذي أخفق في نيل "السعفة الذهبية"[1] مايجعله يقرر الثأر لنفسة في الدورات التالية فيفكر في توظيف هجرة الأفارقة نحو أوربا جاعلا منها فيلما ينافس به فقرر بداية من وصوله نيامي عاصمة النيجر يعثر على حراق كامارادي إسمه "مامادو" عاد هذا الأخير قبل يوم فقط من رحلته الخائبة للفردوس بعد إخفاقه في اجتياز سياج مدينة سبته فيلتقي به وبعرض عليه مفاجأة لوروي له هذا الأخير قصة رحلته نحو الفردوس أطلق الروائي على هذا الفصل اسم G تيار الصدفة" وقسم "مامادو" رحلته إلى عدة فصول وفق

[1] الصديق الحاج أحمد كاماراد رفيق الحين والضياع غضاء للنشر والتوزيع الأردن ط12. 2015-13

أهوال القيامة وأطلق على كل فصل إسم معين وهي كالأتي :
-في "القبر":أطلق هذا الإسم على مرحلة فقرة بالحي الشعبي ينيامي وطريقية عيشة مع عائلته وأصدقاته كما تحدث عن الأوضاع المزرية في نيمامي عاصمة النيجر .
- "البعث": وهي مرحلة مجيئ فكرة الخلاص "الهجرة" بعد محادثة رفيقه "ادريسو" مع صديقه ابراهيما المتواجد في تمنراست عبر الفايسبوك.
- "النفخ في الصور": هي فترة إقناع أمة بيع البقرة الوحيدة والتي كان يعتبر مصدر رزق للعائلة بحليبها للتزود بمبلغها في سفره كما تحدث عن تحضيرات الرفاق الثلاثة للهجرة واقتناء مستلزمات هذه الرحلة .
- "المحشر": تحدث في هذه الرحلة عن وداع الرفاق لأهلهم وأصدقائهم وخروجهم متجهين نحو مدنية رادز التي تعبر متلقى طرق الهجرة ثم ذهابهم بإتجاه مدنية "ارليت" أين سيلتقو بالطوراق أصدقائه مع المهربين لنقلهم نحو جنوب الجزائر .
- "على الصراط" :وهي المرحلة التي قطعها رفقة أصدقائه مع المهربين بالصحراء لكبرى وتحدث عما وقع لهم أثناء هذه الرحلة المميته.
- أما عن مضمونها يمكن تلخيصه من خلال تقديمها من طرف الناقد الجزائري السعيد بوطاجين بقوله:"إنها رحلة البحث عن الذات هربا منها أو محاولة القبض على مستقبل كقوس قزح.... قريب ومستحيل هجرة من بلدان لاتوفر لأبنائها سوى الخراب والكذب والحطام والموت رحلة إلى آفاق تصبح فيها الشخصية ضائعة كغيمة الصيف ...لاهي إلى البر ولا هي إلا البحر كحال من لايملك موطنا يحمل مواصفات من الأوطان ...ذلك تماما ماركزت عليه الرواية في التعمل مع موضوع الهجرة غير شرعية بمعرفة كبيرة وبوعي يستحق التثمين من حيث إنها أحاكت بالعلة والتفاصيل والمسارات والنتائج [1] "تنتهي الرواية بعودة" "مامادو" بخيبة أمل الى حييه "Gملكي" في النيجر إذ أنه وبلقائه بالمخرج جاك يلوز وسرد حكاية هجرته له لمح فيه هذا الأخير مهارة في السناريش وحب كبير للكاميرا لذا شجعه على إخراج فيلم عن الفقر في بلده بمساعدة منه من خلال إعطائه المال وتعليمه للكواليس الحرقة وقد كان ذلك بعد إتمام "دودو" للفلم روج له المخرج من خلال منشور على صفحته الفايسبوكيه.
" أيها الشمال القانط من الجنس الكامارادي الزاحف..."
أيها الجنوب العربي المتذمر من عبور شعب ليكاماراد...
لامحل لنا من أخطبوط الهجرة ...إلا يخلق غرض نشاط تثبت هؤلاء الأفارقة المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم .
لن ولن نوقف هذا التدفق المريب إلا بفعل ذلك.

[1] بسيمة بوشريط المهمش روائيي كاماراد للصديق الحاج أحمد والعمامة والطربوش صبرسنه بن عزيزة رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر إشرف رواية شاوي السنة 2018-2019

شاب نيجري واعد ...لاقتني به الصدف هو يحلم بالشمال حيث النعيم والخلاص وأنا أحلم بالجنوب حيث الحرمان والخلاص....مقارنة غريبة جمعتني به اسمه مامادو نشاط وحيوية .."[1]

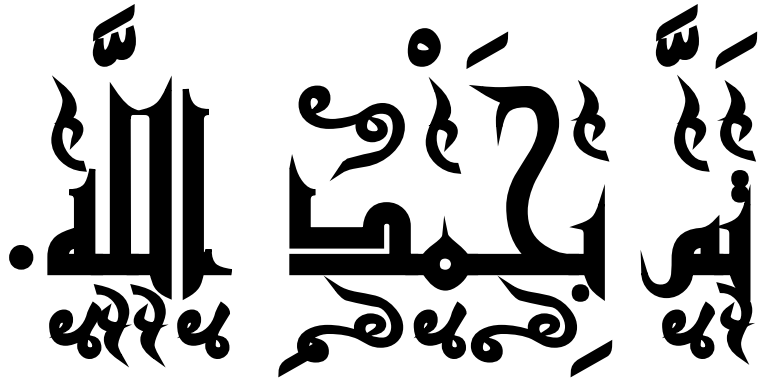

[1] الصديق حاج أحمد كاماراد رفيق الحين والضياع ص362